

نظرة علمية فى أهل التبليغ والدعوة

تأليف الشيخ

أيمن أبو شادى

الإجازة العالية من كلية الشريعة - جامعة الأزهر الشريف

الإجازة بالأسانيد فى الحديث والأصول والفقه والعقيدة

وبآخره ملحق لفتاوى كبار العلماء

فى العالم الإسلامى

نظرة علمية

الجزء الثاني

في

أهل التبليغ والدعوة

وبآخره ملحق لفتاوى ورسائل كبار العلماء

في العالم الإسلامي

في أهل التبليغ والدعوة

تأليف

الشيخ أيمن أبو شادي

الإجازة العالية من كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر الشريف

الإجازة بالأسانيد في الحديث والأصول والفقه والعقيدة

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م
الجزء الثاني
رقم الإيداع بدار الكتب
٩٨/٢٥٧٥
I.S.B.N 977 - 19 - 5345 - 1

الطبعة الرابعة
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م

لطلب الكتاب خارج مصر
ت: ٦٣٥٣٤٣٦
عنوان المراسلة: ١٣ شارع بركات - طومانباي - القاهرة
ج.م.ع

كتابنا هذا..

- محاولة للإنصاف والصدق..
في ظل واقع قَلَّ فيه ذلك..
- وطال دعوة ظلت هدفًا وغرضا لعدم الفهم من قطاعات من المسلمين..
- هذا رغم أن أصـولها وتعـاليمـهـا محـتوية على أقـوى الأدلة الشرعية في مجال عـملها، فنصوص الكتاب والسنة وقواعد الدين شاهدة لها ومرجحة لأساليبها وناطقة بفضلها وريادتها.
- ورغم مـا شهـده العالم كلُّه من ثمـراتها اليـانعة.... فـأُزهرت القلوب بنور دعوتها...
- وعرفت الدنـيا من خلالهـا حلاوة الإيمان مـرة أخرى.. ودخل في الإسلام الأحمر والأسود...
- وآن الأوان الآن لظُلْمة الكلمات أن تنجلي..
- وللإنصاف أن يتكلم..
وللعَدْل والبرِّ أن يتقدَّم..
- ليسير بركب أهل الخير والإيمان..
- لنكون رحمة للعالمين..
وفق مقـاصد ونيـات المرسـلين..
صلوات الله وتسـليماته عـليهم أجمعين..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، رفع ذكر نبينا ﷺ وشرفه عاليا فوق العُلى فكان قاب قوسين أو أدنى... وأشهد أن لا إله إلا الله الموصوف بكل كمال وجلال المنزه عن كل نقص وعيب، شهادة نستودعها إياه يوم تجف الأقلام ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾...

وتحار الأفهام ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾..

وأشهد أن محمداً عبده ومصطفاه وحبيبه وخليله ورسوله ﷺ.

وبعد...

فقد وقفت طويلا أُحدث نفسي أسمع منها.. وأبحث معها.. لعلي أجده.. طريق الأنبياء وسبيل المرسلين.

وجاءت الغربة السوداء بلياليها، لتطفئ مصابيح الإسلام، وتنشر الظلمة، ظلمة ترك الدعوة إلى الله تعالى، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور....

وأصبح النهار مذموما بصبحه وضيائه... فالبعض يعشق الظلمة وابتعدت مشاعلنا، بل ارتفعت من أيدينا..!

وصرخ بها المخلصون: ألا مشاعل الإسلام تمهَّلي..لا تمنعي الدنيا نورَك، وقبضت السواعد على مشاعل دينها.. قبضتَ على الجمر..

وسارت أقدام الدعوة تمضي، ومن ورائها الألسنة الحداد للمعوِّقين، يلْمِزونها ويرمونها بكل قبيح: بالتلميح حينا، وحينا بالتصريح.

فقالوا عنها: إنها بدعٌ من القول وزور..! وقالوا: السادرون فيها والقائمون لها حرَّكهم إليها جهلٌ بدينهم وغرور، وأشاعوا الزور والبهتان حولها..!

إفْكًا ولمزًا، وطعنًا ونبْذًا، ودارت آلةُ إعلامهم كُتُبا وأشرطةً وصحائفَ تدعو إلى التَّرْك والكفِّ، ونفض الأيدي من دعوة النبوَّة ومقاصد الرسالة، ولك الله يا أمة النبي ﷺ، ما رحموك، وما حرصوا عليك..! وما رحمَوا مَنْ رحموك..!

وستعلو حروفنا زاهرة، لتضيء طريق الحائرين، وترد الجور عن الدعاة الصادقين، الذين هم الآن حاجة أمة النبي ﷺ، حاجة غير الراغبين للقربات، المنصرفين عن المساجد والطاعات

وها هي نصوص أئمتنا تضيء لنا طرقا من النور، لمن أراد أن يكون مشعل هداية، ويبلغ الغاية....

حتى لا يكون الهذيان أصلا، والبهتان سبيلا...

إذ الضرر يزال ولكن لا بضرر، والضرر يزال ولكن لا يزال بالضرر، بخلاف من قام لإيقاف الدعوة، يعادي أهلها، ويلحق الأذى بها، ويصد عن سبيلها، والله تعالى ناظر إلى السرائر... وغدا تظهر الاسرار وتمتحن الضمائر، والمقاصد والإرادات لا يطلع عليها إلا رب الأرض والسماوات...

فإياك.. إياك أن يمضي السابقون من سلف هذه الأمة بالمقاصد الصالحات في جرحهم وتعديلهم وتوثيقهم وتزييفهم وتشرد أنت بمقصد هتك الأستار، والبحث والتتبع للعورات، ورؤية العيوب والزلات، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته...

اللهم أخرج من أفواهنا ما تُخرجه من أفواه المصلحين، وما تعلى به كلمة الحق والدين، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، فلا يلتبس علينا فنضل... واجعلنا جالبين للنفع دافعين للضرر، ولا تجعلنا جالبين للضرر دافعين للنفع... آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الشبهة الثانية :

أهل الدعوة ينكرون الجهاد ويصرفون آيات وآحاديث الجهاد إلى الدعوة

قــالوا: إن المبلغين ينكرون الجهـاد وأماتوا روح الجهـاد في الأمة ويصـرفـون آيات وأحاديـث الجهـاد إلى الدعـوة اعـتـداءً منهم على نصوصها.

فنقــول: الجهاد عام يشمل القـتال، والدعوة، ومجاهدة النفس، والشيطان، والهوى.

ولنبدأ في تعريف الجهاد..

تعريف الجهاد:

قال الحافظ ابن حجر في فتح البـاري شرح صحيح البخاري (ج٦ ص٥):

«والجِهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة، يقال: جهدت جهاداً بلغت المشقة.

وشرعًـا: بذل الجهد فـي قتال الكفـار، ويطلق أيضًا على مـجاهدة النفس والشيطان والفساق.

فأما مـجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم علـى العمل بها ثم على تعليمها.

وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي من الشبهات وما يزينه من الشهوات.

وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب.

وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب.انتهى.

قلــت: فالجهـاد عام يشمل مجاهدة الكفـار باليد والمال والقلب واللسان.

والمراد باللسان الدعوة بأنواعها لقوله تعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1] وقد نزلت هذه الآية بمكة ولم يكن فيها إلا الدعوة بالقرآن، ويشمل مجاهدة النفس والشيطان والفساق والهوى.

قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٢٨ ص٣٨، ٣٩:

والله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[2] **بالحجة والبيان وباليد واللسان، هذا إلى يوم القيامة، لكن الجهاد المكي بالعلم والبيان، والجهاد المدني مع المكي باليد والحديد قال تعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ وسورة الفرقان مكية وإنما جاهدهم باللسان والبيان ولكن يكف عن الباطل، وإنما قد بين في المكية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[3]. انتهى.**

قلت: أما القتال فهو المعنى في هذه الفقرة بالجهاد من قبل القائل أي أن **المبلغين ينكرون القتال أو الجهاد لإعلاء كلمة الله هذا ما يقولونه....!**

ولنبدأ في توضيح المفاهيم حتى تخرج الكلمة بيضاء نقية....

---

(١) الفرقان: آية٥٢.

(٢) الصف: آية ٩.

(٣) محمد: آية ٣١.

الجهاد مطلوب طلب وسائل

لا غايات،

وهو حَسَنٌ لما يئول إليه

حسن لمقصد الدعوة والهداية

ونبدأ بأول الطروحات وأنفسها: **هل القتال أو الجهاد مطلوب لذاته وحسن لذاته أم هو مطلوب لغيره وحسن لما يؤول إليه، وهل طلبه طلب وسيلة أم هو طلب غاية ومقصد...؟!** وهل الجهاد محمود على كل حال ومفتوح بابه أبدًا؟ أم هو محمود في حال دون حال مقفول بشروطه؟ وما هي شروط الجهاد؟ وهل الجهاد مطلوب بالطلب الأول أم مطلوب بالطلب الثاني؟ وما هو مقصد الجهاد؟ ومتى يحرم الجهاد؟ ومتى يكره؟

أولا: انقسام الأحكام الشرعية إلى الوسائل والمقاصد:

وهذا باب من أجَلِّ الأبواب التي أشار إليها الأئمة الأعلام حيث أنه ما من حكم من أحكام الشرع إلا وينقسم إلى قسمين:

١ـ مقاصد: وهي المحتوية على المصالح والمفاسد في ذاتها وفي أنفسها.

٢ـ وسائل: وهي المؤدية إلى هذه المقاصد، وهذه الوسائل أقل درجة ورتبة من مقاصدها؛ لأنها مطلوبة بالطلب الثاني، بخلاف المقاصد التي هي مطلوبة بالطلب الأول، وهي أقل أجرا؛ لأنها ليست شريفة في ذاتها ولكن بما تؤول وتؤدي إليه.

فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أقبح المقاصد هي أقبح الوسائل، وإلى ما يتوسط متوسطة، فالوسائل لها حكم المقاصد مع كونها أقل درجة منها.

قال الإمام القرافي في الفروق ج٢ص٣٣ «الفرق الثامن والخمسون بين قاعدة المقاصد وقاعدة الوسائل»:

وموارد الأحكام على قسمين: مقاصد وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل وهي المفضية إليها، وحكمها حكم ما

أفضت إليه من تحريم وتحليل، غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها، والوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل، وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل، وإلى ما يتوسط متوسطة، ومما يدل على حسن الوسائل الحسنة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[1] فأثابهم الله على الظمأ والنصب وإن لم يكونا من فعلهم بسبب أنهما حصلا لهم بسبب التوسل إلى الجهاد الذي هو وسيلة لإعزاز الدين وصون المسلمين فيكون الاستعداد وسيلة الوسيلة». انتهى.

قلت: فبين - رضي الله عنه - أن الأحكام قسمين وسائل ومقاصد، والوسائل أخفض رتبة ودرجة من المقاصد ثم ذكر في آخر كلامه: أن الجهاد مطلوب طلب وسيلة فتكون درجته ورتبته رتبة الوسيلة.

هذا بخلاف الدعوة فإنها من باب المقاصد فرتبتها رتبة المقاصد، ولا أدل في ذلك من الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى فها هو يوضح ويصرح أن الدعوة مطلوبة طلب مقاصد، وأن جهاد الأمة كان وسيلة إلى مقصد جليل وهو دعوة المجاهَدين لرب العالمين.

يقول الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٢٨ ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٤:

(وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.[2] وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3].

---

(١) التوبة: آية ١٢٠. (٢) آل عمران: آية ١١٠. (٣) التوبة: آية ٧١.

ولهذا قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة.

فبين سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحسانًا إليهم؛ لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق.

وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف؛ ولا نهوا كل أحد عن كل منكر، ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم من لم يجاهد، والذين جاهدوا كبني إسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم، كما يقاتل الصائل الظالم؛ لا لدعوة المجاهدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، كما قال موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)﴾[1] إلى قوله ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾[2].

---

(١) المائدة: آية ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) البقرة: آية ٢٤٦.

فعلَّلوا القتال بأنهم أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم، ومع هذا فكانوا ناكلين عما أُمروا به من ذلك؛ ولهذا لم تحل لهم الغنائم؛ ولم يكونوا يطؤون بملك اليمين). انتهى.

قلت: فتدبر معي أخي الصالح كيف صرح رحمه الله تعالى بمقصود جهاد الأمة الذي هو الآن آخر ما يُلتفت إليه ممن تصدروا لهذا الأمر.

وهو قوله رحمه الله تعالى: «والذين جاهدوا كبني إسرائيل عامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم كما يُقاتل الصائل الظالم، لا لدعوه المجَاهَدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر».

فلوح رحمه الله تعالى بالمقصد والغاية التي خرجت لها السرايا، وحشرت لها الكتائب وسالت من أجلها الدماء، وزهقت الأنفس وتلفت الأرواح، وهي دعوة المجَاهَدين لرب العالمين والحرص على ذلك، وأمرهم بكل معروف وأعرف المعروف وهو التوحيد والإيمان وعبادة الرحمن ونهيهم عن المنكر، وأنكر المنكر وهو الكفر بالديان وعبادة الشيطان.

فما كان القتل والقتال مقصودا في ذاته ولكن مطلوب ومحمود لما يؤول إليه وذلك لمقصد الدعوة وأن يعبد الله تعالى في الأرض، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فالجهاد محمود إذا كان على مقاصده وعلى بابه..

فإذا كانت الدعوة من مقاصد الجهاد، وهي أعلى درجاته فهي مطلوبة طلب مقصد وغاية، وأجرها أجر المقاصد، وإذا كان الجهاد مطلوب طلب وسيلة فأجره أجر الوسيلة وهي أخفض درجة من أجر المقصد.

فالجهاد حسنٌ لما يؤول إليه حسنٌ لمقصد الدعوة، وحسنه حسن الوسائل لا المقاصد بخلاف الدعوة فإن حسنها حسن مقاصد.

والوسيلة لا تبلغ في أجرها أجر المقصد، لأن الوسائل مطلوبة تبعا

للغايات والمقاصد، والمقاصد والغايات هي الصورة المطلوبة بالذات والأصل، والمتبوع دائما خير من التابع وأفضل....

فالدعوة مقصودة بالقصد الأول ووسائلها من جهاد وغيره مقصوده بالقصد الثاني «إني ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس ولكن لتعلموهم دينهم»، كذلك الجزية غير مطلوبة في ذاتها بل مقصوده بالقصد الثاني، ففي عهد عمر بن عبدالعزيز خشى والي بيت المال أن يخلو من الخراج والجزية فهمَّ بألا يسقط الجزية عمن اسلم، فارسل إليه عمر بن عبدالعزيز يلومه على ذلك ويقول له «إن الله تعالى أرسل محمداً بن عبدالله ﷺ هاديا ولم يرسله جابيا».

وقال الإمام العراقي في طرح التثريب في شرح التقريب ج٧ص١٩٣ وقال الإمام ابن دقيق العيد في شرح العمدة:

«القياس يقتضي أن الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل فإن العبادات على قسمين: مقصود لنفسه ووسيلة إلى غيره وفضيلة الوسيلة بحسب فضيلة المتوسل إليه والجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخمال الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك».انتهى.

قلت: ولاشك أن هذا الوصف وهو المقصود من الجهاد ينطبق على الدعوة فبها إعلان الدين ونشره وإخمال الكفر ودحضه..

فإذا ما نصت الآيات والأحاديث على فضيلة من فضائل القتال والجهاد فالدعوة تشتمل على هذه الفضيلة بل تتعداها..

كما قال الإمام القرافي في الفروق ج٢ص٣٣ :«وموارد الأحكام على قسمين: مقاصد وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل وهي المفضية إليها وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها».انتهى.

فلا حاجة أهل الدعوة في تصريف آيات وأحاديث القتال والجهاد إلى الدعوة، لأن الدعوة والهداية أعلى وأعظم أجرًا لكونها من مقاصد الجهاد وهي مطلوبة بالطلب الأول بخلاف القتال أو الجهاد فهو مطلوب بالطلب الثاني؛ لكونه من الوسائل.

وإنما كان استعمالهم لهذه الآيات والأحاديث؛ لأن الجهاد والقتال وسيلة إلى مقصد وهو الدعوة، وللوسائل حكم المقاصد.

فكانت الدعوة وهي مقصد مشتملة لكل فضائل وسيلتها؛ فلا غضاضة في استخدام هذه الفضيلة فيها؛ حيث أن الأجر إذا ثبت للوسائل وهي أقل رتبة ثبت من باب أولى للمقاصد وهي أجل وأرفع أجرًا.

ونزيد الأمر إيضاحًا في هذا الباب وهو انقسام الأحكام الشرعية إلى الوسائل والمقاصد وكون التوسل إلى المقاصد أعلى درجة من التوسل إلى الوسائل.

حيث أن تبليغ الرسالة والخروج للدعوة وتفريغ الأوقات لذلك من أفضل القربات؛ لأنه يؤدي إلى أفضل المقاصد، وإلى ما هو مقصود في نفسه كمعرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته واليقين على ذلك.

قال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام رضي الله عنه في قواعد الأحكام إلى مصالح الأنام ج ١ص١٢٣، ١٢٤، ١٢٥:

يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه[1]، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجمعات، والتوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل بالسعي

---

(١) لأن التوسل إلى معرفة الله وسيلة إلى مقصد، أما التوسل إلى معرفة الأحكام فهو وسيلة إلى وسيلة.

إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات، والتوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات كالعيدين والكسوفين، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة، كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل[1]، لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان، وكذلك المدح والذم، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف، قال ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[2].

فمن قدر على الجمع بين الامر بمعروفين في وقت واحد، لزمه

---

(١) وذلك لأنه وسيلة إلى مقصود في نفسه وهو معرفة الإيمان بالله وصفاته الذي هو أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح ودرئه لاقبح المفاسد مع شرفه في نفسه وشرف متعلقه وهو أعلى درجة مما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع والاستعداد للجهاد.

(٢) أخرجه الإمام البخاري جـ١ ص٦٧ كتاب الإيمان «باب أمور الإيمان» بلفظ بضع وستون، وأخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان «باب شعب الإيمان» ٣٥، ٣٦، ورواه أبو داود والترمذي، ورواه النسائي ج٦ ص٥٣٢ «باب ذكر شعب الإيمان»، وفي مصنف عبدالرزاق «باب الإيمان والإسلام» ٢٠١٠٥، وفي مشكاة المصابيح كتاب الإيمان ج٥، وفي مجمع الزوائد ج١ ص٤١، ٤٢، وفي إتحاف السادة المتقين ج٢ ص٢٦٠، ج٨ ص٥١٢ وشرح السنة للبغوي ج١ ص٧٥ «باب بيان أن الأعمال من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص».

ذلك، لما ذكرناه من وجوب الجمع بين المصلحتين، وإن تعذر الجمع بينهما أُمر بأفضلهما؛ لما ذكرناه من تقديم أعلى المصلحتين على أدناهما، مثال الجمع بين الأمر بمعروفين فما زاد، أن يرى جماعة قد تركوا الصلاة المفروضة حتى ضاق وقتها بغير عذر فيقول لهم بكلمة صلوا أو قوموا إلى الصلاة، فإن أمر كل واحد منهم واجب على الفور، وكذلك تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه وهذان قسمان:

أحدهما: وسيلةَ إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل[1].

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامة الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان وكلاهما من أفضل المقاصد. ويدل على فضل التوسل إلى الجهاد قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[2] وإنما أثيبوا على الظمأ والنصب وليسا من فعلهم؛ لأنهم تسببوا إليهما بسفرهم وسعيهم. وعلى الحقيقة فالتأهب للجهاد بالسفر إليه، وإعداد الكراع والسلاح والخيل، وسيلة إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى إعزاز الدين،

---

(١) لذلك كان تبليغ رسالات الله والخروج في سبيله من أفضل القربات؛ لكونه وسيلة إلى الإيمان بالله وإلى ما هو مقصود في نفسه؛ لان معرفة ذلك من أفضل المقاصد.

(٢) التوبة: آية ١٢٠.

وغير ذلك من مقاصد الجهاد فالمقصود ما شرع الجهاد لأجله، والجهاد وسيلة إليه، وأسباب الجهاد كلها وسائل إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى مقاصده، فالاستعداد له من باب وسائل الوسائل.

ويدل على فضل التوسل إلى الجمعات والجماعات قوله ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم راح إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»[1]. انتهى.

قلت: فتأمل ما أشار إليه رضي الله عنه أن الاستعداد للجهاد وسيلة إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى إعزاز الدين وأنه محمود إذا كان على مقاصده، وما شرع لأجله، وذلك بقوله **«فالمقصود ما شرع الجهاد لأجله والجهاد وسيلة إليه، وأسباب الجهاد كلها وسائل للجهاد، الذي هو وسيلة إلى مقاصده، فالاستعداد له من باب وسائل الوسائل»**.

وقال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام في موضع آخر من القواعد ج١ ص٥٣ مؤكداً على هذه الأحكام السابقة: فصل ((في انقسام المصالح والمفاسد إلى الوسائل والمقاصد)).

«الواجبات والمندوبات ضربان: أحدهما مقاصد، والثاني وسائل،

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة «باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات»، والإمام البيهقي في السنن الكبرى ج٣ ص٦٢ كتاب الصلاة «باب ما جاء في فضل المشي إلى المسجد للصلاة»، وفي كنز العمال والمتقي الهندي ح ١٨٩٦٠.

وكذلك المكروهات والمحرمات ضربان: أحدهما مقاصد، والثاني وسائل، وللوسائل أحكام المقاصد، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد، فمن وفقه الله للوقوف على ترتب المصالح عرف فاضلها من مفضولها، ومقدمها من مؤخرها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المصالح فيختلفون في تقديمها عند تعذر الجمع، وكذلك من وفقه الله لمعرفة رتب المفاسد فإنه يدرأ أعظمها بأخفها عند تزاحمها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المفاسد فيختلفون فيما يدرأ منها عند تعذر دفع جميعها، والشريعة طافحة بما ذكرناه وسنذكر أمثلة ذلك إن شاء الله تعالى.

فصل في بيان رتب المصالح

وهي ضربان: أحدهما مصلحة أوجبها الله عز وجل نظراً لعباده، وهي متفاوتة الرتب منقسمة إلى الفاضل والأفضل والمتوسط بينهما. فأفضل المصالح ما كان شريفًا في نفسه، دافعًا لأقبح المفاسد، جالبًا لأرجح المصالح، وقد سئل عليه السلام أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله»، قيل ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل ثم أي؟ قال: «حج مبرور» [(١)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري كتاب الإيمان ج١ ص١٣ «باب من قال أن الإيمان هو العمل»، والإمام مسلم في الإيمان جـ١ ص٤٩ كتاب الإيمان «باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال»، والنسائي ج٢ ص٣٢١ فضل الحج، ج٦ ص٥٢٧، ومسند أحمد ج٢ ص٢٦٨، وفي المعجم الكبير للطبراني ج٢ ص١٦٧، وفي السنن الكبرى للإمام البيهقي ج٥ ص٢٦٢ كتاب الحج «باب فضل الحج والعمرة»، وفي مجمع الزوائد ج٣ ص٢١٠ كتاب الحج «باب فضل الحج والعمرة»، وفي الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٦٢ كتاب الحج الترغيب في الحج والعمرة وما جاء فيمن خرج يقصدهما فمات، وفي إتحاف السادة المتقين ج١ ص٨٥.

جعل الإيمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح، ودرئه لأقبح المفاسد، مع شرفه في نفسه وشرف متعلقه، ومصالحه ضربان: أحدهما عاجلة وهي إجراء أحكام الإسلام، وصيانة النفوس والأموال والحرم والأطفال.

والثاني آجلة وهو خلود الجنان ورضاء الرحمن. وجعل الجهاد تلو الإيمان؛ لأنه ليس بشريف في نفسه، وإنما وجب وجوب الوسائل - وفوائده ضربان أحدهما: مصالحه، وهي منقسمة إلى العاجل والآجل فأما مصالحه العاجلة فإعزاز الدين، ومحق الكافرين، وشفاء صدور المؤمنين من اغتنام أموالهم وتخميسها، وإرقاق نسائهم وأطفالهم، وأما مصالحه الآجلة فالأجر العظيم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، فجعل الأجر العظيم للقتلى والغالبين، والغالب أفضل من القتيل،لأنه حصَّل مقاصد الجهاد، وليس القتيل مثابًا على القتل لأنه ليس من فعله، وإنما يثاب على تعرضه للقتل في نصرة الدين.

الضرب الثاني: من فوائد الجهاد درؤه لمفاسد عاجلة وآجلة، أما الآجلة فلأنه سبب لغفران الذنوب، والغفران دافع لمفاسد العقاب، وأما العاجلة فإنه يدرأ الكفر من صدور الكافرين إن قتلوا أو أسلموا خوفًا من القتل، وكذلك يدرأ استيلاء الكفار على قتل المسلمين وأخذ أموالهم وإرقاق حرمهم وأطفالهم، وانتهاك حرمة الدين.

وجعل الحج في الرتبة الثالثة؛ لانحطاط مصالحه عن مصالح الجهاد وهو أيضًا يجلب المصالح ويدرأ المفاسد.

أما جلبه للمصالح؛ فلأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وأما درؤه للمفاسد، فإنه يدرأ العقوبات بغفران الذنوب.

---

(١) النساء: آية ٧٤.

قـال ﷺ : «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفـسق خرج من ذنوبه كيـوم ولدته أمه»[1]، ولا تزال رتب المصالح الواجبـة التحصيل تتناقص إلى رتبـة لو تناقـصت لانتهـينا إلى رتب المصـالح المندوبات، وكذلك تتـفاوت رتب فرض الكفاية فـيما تجلبه من مـصلحة أو تدرؤه من مفـسدة، فقـتال الدفع أفـضل من قتال الطلـب، ودفع الصوال عن الأرواح والأبضـاع أفـضل من درئهم عـن المنافع والأمـوال، وكـذلك تتفاوت رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتفاوت رتب المأمور به في المصالح والمنهي عنه في المفاسد»انتهى.

قلت: فانظر رحمني الله وإياك إلى قـول سلطان العلماء العز بن عبـدالسلام أن النبي ﷺ جعل الإيمـان أفضل الأعمـال؛ لجلبه إلى أحسن المصالح، ودرئه لأقبح المفاسد».

وهل الخروج في سبـيل الله والتبليغ إلا لنشر هذا الإيمان؟!! الذي هو أفضل الأعمـال الجالبة إلى أفضل المصالح والدارئة لأقـبح المفاسد مع شرفه في نفسه وشرف متعلقة.

وانظر إلى قوله أنه جعل الجهاد تلو الإيمان؛ لأنه ليس بشريف في نفـسه، وإنما وجب وجـوب الوسـائل، فكان الاسـتعـداد له من باب وسائل الوسائل.

---

(١) أخرجه الإمـام البخاري ج٣ ص١٤ كتـاب المحصر «باب قول الله تعـالى: ﴿فلا رفث ولا فـسوق ولا جـدال في الحج﴾»، ورواه الإمـام مـسلم ج١ ص٥٦٦ كتـاب الحج «باب في فضل الحج والعـمرة يوم عرفة»، ورواه الإمـام النسائي ج٢ ص٣٢١ فضل الحـج، وفي مسند الإمـام أحمد ج٢ ص٢٢٩، ٤١٠ وفـي سنن البـيهـقي ج٥ ص٦٧ «باب لا رفث ولا فـسوق ولا جدال في الحج»، ص٢٦١ «باب فـضل الحج والعـمرة»، وفي مـشكاة المصـابيح حـديث ٢٥٠٧، وفي إتحاف السـادة المتـقين ج٣ ص٤٨٢، وفي كنز العـمال فضـائل الحج حديث ١١٨٠٨، وفي حليـة الأولياء ج٧ ص١٤٣، ج٨ ص١٢٦، وفي الترغيب والترهيب ج٢ ص١٦٣ كتاب الحج الترغيب في الحج والعمرة وما جاء فيمن خرج يقصدهما فمات.

مراحل الجهاد الدَّعوي للصحابة

رضي الله عنهم

الجهاد شُرِعَ في الإسلام وسيلة لمقاصد عليا وغايات ساميات، فمن الدماء والجراحات، وفوات الأنفس الزكيَّات، جاءت الهداية تزهر في القلوب، وأُضيئت النفوس بحسن القصد والنيَّات، وارتفعت على رؤوس الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعلام ورايات الهداية، وما من موضع وصلت إليه أقدامهم إلا وبدأوا من خلال جهادهم في إقامة دعوتهم وهي على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: (الدعوة الإجمالية)

وهي عرض إجمالي للكفار، عن طريق الصفات الإيمانية، المفضية إلى الهداية، والتي لا تتأخر فطرة سليمة عن قبولها والإذعان لها.

وفي هذه المرحلة ما كان للصحابة رضي الله عنهم إلا عبارة مشهورة وهي «**كونوا مثلنا**»، فكانوا يطلبون من الناس أن يكونوا مثلهم بعد أن رأى الناس فيهم أنهم سفراء لله تعالى في الأرض، وبعد أن تحقق معهم النموذج الصحيح للحياة الإسلامية في العبادات والمعاملات والمعاشرات، فقالوا للناس (أسلموا تسلموا) وهذه دعوة مجملة لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم.

المرحلة الثانية: (الدعوة التفصيلية: الجزية)

فإذا رفض الناس ذلك، عُرض عليهم الإسلام عرضا تفصيليًا عن طريق الجزية، حيث سيعيش معهم المسلمون ويعاشرونهم، فيعرض عليهم الإسلام تفصيليا من خلال المعايشة، وهذه دعوة تفصيلية.

المرحلة الثالثة: (القتال)

فإذا رفض الناس الدعوة الإجمالية والتفصيلية يكون القتال، حيث لا تكون المقابلة بينهم وبين المسلمين حينئذ، بل تكون المقابلة والمواجهة بينهم وبين الله تعالى، ومن يُغالب الله تعالى يُغلب، فمع كل رسول قوة مرسله، والصحابة ﷺ عرفوا أنهم مبعوثين من قبل الله تعالى وعبَّروا عن هذا بقولهم «إن الله ابتعثنا» فأيديهم الله تعالى بنصره ومكَّنهم في الأرض لـمَّا تحققت فيهم صفات الإيمان. . .

فـإذا ما تم قـبـول أي من الدعـوتين يتوقف القـتـال؛ لأنه ليس مقصودا لذاته، بل لغيره، أي لما يتسبب عنه من فتح الباب للدعوة.

فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما لجأوا للقـتال إلا بعد فقد وسائل الدعوة فكان القـتال نتيجـة حتميـه لرد الدعوة في المرحلة الإجمـالية والمرحلة التفصيلية، وعدم قبولها من المدعوين.

كالماء إذا عدم يلجـأ الإنسان إلى التراب للتطهر به، فالقـتال مثل التيمم والدعوة مثل الوضوء، فلا يلجأ للقتال إلا بعد تعذّر الدعوة.

الماء منظف وهو الأصل في الـطهارة، بخـلاف التـيمم الذي قـد يتخلف عنه شوائب من أتربة وغيرها، ولكن المصـير إليها والالتصاق بها ضرورة لانعدام الماء.

كذلـك الدعوة هي منظفـة ومطهرة للشـرك وللكفر، مع تعـذرها يلجـأ إلى الـقـتـال الملصـوق به إراقـة الدمـاء وزهق الأرواح، ولكنه مطلوب طلب وسـيلة للوصول إلى المقصـد والغاية وهي أن يعـبد الله وحـده وتصـل الدعـوة إلى الناس، وأن تكـون كلمـة الله هى العـليـا، وكلمة الله هـي دعوة الله إلى الإسلام كـما قـال ذلك الإمام ابن حـجر العسـقلاني ـ رضي الله عنه ـ في فـتح الباري ج٦ ص٣٦، أي أن تكون دعوة الله إلى الإسلام هي العليا.

فالدعوة عرض إجـمالي للكفار «**كـونوا مـثلنا**» فإذا لم يقـبلوا فالجـزية، وهي عرض تـفصيلـي لدعوة الإسلام عـن طريق معـاشره المسلمين، ورؤية سمـو ذلك الدين واستـعلائه من قرب، فـإن أجابوا إلى ذلك فيُقبل منهـم، ويُكف عنهم مع بقائهم على دينهم، ولو كان المقصود القتال لذاته ما أُقروا على الجزية مع بقائهم على الكفر.

فإذا لم يقبلوا فالقتال؛ لأنهم صاروا حجر عثرة فلابد من إزالته.

فلا يصلح أن نقاتل ونصير إلى ثالث الخيارات وهو القتال، فننتقل إليه مع الترك للخيار الأول وهو الدعوة «**كونوا مثلنا**».

والآن الصفات الإيمانية التي كانت عند الصحابة ﷺ غير موجودة في حياة المسلمين، فلابد من تحصيلها حتى يتحقق الخيار الأول أمام الكفار وإلا فكيف نقاتلهم مع تعسر وجود ما ندعو إليه من صفات الإيمان؟!!

فنحن في حاجة الآن إلى الاجتهاد على أول مرحلة خرج بها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهي «كونوا مثلنا» ثم بعد ذلك يفتح الله تعالى بقية الأبواب التي أُرسل بها النبي ﷺ، لأن حال المسلمين اليوم لا يصلح أن يُقال لغير المسلم «كونوا مثلنا»..!

قال الإمام حافظ المغرب ابن عبد البر في التمهيد ج٢ ص٢١٥:

(وقد اختلف العلماء في دعاء العدو قبل القتال إذا كانوا قد بلغتهم الدعوة، فكان مالك ـ رحمه الله ـ يقول: الدعوة أصوب بلغهم ذلك أو لم يبلغهم، إلا أن يعجلوا المسلمين أن يدعوهم، وقال عنه ابن القاسم: لا يبيتوا حتى يدعوا. وذكر الربيع عن الشافعي في كتاب البويطي مثل ذلك لا يقاتل العدو حتى يدعوا إلا أن يعجلوا عن ذلك. فإن لم يفعل فقد بلغتهم الدعوة. وحكى المزني عن الشافعي: من لم تبلغهم الدعوة لم يقاتلوا حتى تبلغهم الدعوة. يدعون إلى الإيمان. قال وإن قتل منهم أحد قبل ذلك فعلى قاتله الدية، وقال المزني عنه أيضا في موضع آخر من بلغتهم الدعوة فلا بأس أن يغار عليهم بلا دعوة، وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد إن دعوهم قبل القتال فحسن ولا بأس أن يغيروا عليهم، وقال الحسن بن صالح بن حي يعجبني كل ما حدث إمام بعد إمام أحدث دعوة لأهل الشرك.

قال أبو عمر:

هذا قول حسن والدعاء قبل القتال على كل حال حسن لأن رسول الله ﷺ كان يأمر سراياه بذلك، وكان يدعو كل من يقاتله مع اشتهار

كلمتـه ودينه في جزيرة الـعرب وعلمهم بمنـابذته إياهم ومحـاربته لمن خالفه، وما أظنه أغار على خيبر وعلى بني المصطلق إلا بأثر دعوته لهم في فور ذلك أو قريب منه مع يأسه عن إجابتهم إياه وكذلك كان تبييته وتبييت جيوشـه لمن بيتوا من المشركين على هذا الوجـه والله أعلم.

ثم قـال الإمام ابن عـبدالبـر في مـوضع آخر: أخـبرنا أبو مـحمـد عبـدالله بن محمـد قال أخبرنا مـحمد بن عـمر أخبـرنا علي بن حرب الطائي قال حـدثنا سفـيان ابن عيـينة عن ابن أبي نجيح عن أبـيه عن ابن عباس قال: ما قاتل رسول الله ﷺ قوما حتى يدعوهم. وهذا يحتمل ممن لم تبلغهم الدعـوة ويحتمل من كل كافـر محارب. حدثني سـعيد بن نصر قـال حدثنا قاسم ابن أصبـغ قال حدثنا ابن وضاح قـال حدثنا أبو بكر بن أبي شيـبة قال حدثنا وكيـع عن سفيان عن علقـمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قـال كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أو جـيش أوصاه في خـاصة نفسـه بتقوى الله ومن مـعه من المسلمين خيـرا ثم قال «اغزوا بسم الله وفي سـبيل الله تقاتلون من كـفر بالله اغـزوا ولا تغلوا، ولا تغـدروا، ولا تمثلوا، ولا تقـتلوا وليـدا، وإذا لقيت عدوك من المشـركين فأدعهم إلى إحدى ثلاث خـصال أو خلال فأيهـا أجابوك إليـها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسـلام فإن أجـابوك فـاقـبل منهم، ثم ادعــهم إلى التحــول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمـهم أنهم إن فعلوا فإن لهم ما للمهاجـرين وعليهم ما على المهـاجرين، فـإن أبوا واخـتاروا دارهم فـأعلمـهم أنهم كأعـراب المسلمين يجـري عليهم حكم الله كـما يجـري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيـمة نصيب إلا أن يجاهـدوا مع المسلمين، فإن أبوا فادعـهم إلى إعطاء الجزية، فـإن أجابوا فـاقبل منهم وكف عنـهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم».

قال أبو عمر:

هذا من أحسن حديث يروي في معناه إلا أن فيه التحول عن الدار وذلك منسوخ نسخه رسول الله ﷺ بقوله «لا هجرة بعد الفتح» وإنما كان هذا منه ﷺ قبل فتح مكة، فلما فتح الله عليه مكة قال لهم: «قد انقطعت الهجرة ولكن جهاد ونية إلى يوم القيامة» حدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى المقرئ قال حدثنا عبيدالله بن محمد بن إسحاق بن حبابة ببغداد قال حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي قال حدثنا خلف بن هشام البزار قال حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد «أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه فذكر أن الناس طمعوا في ذلك فلما كان من الغد قال: أين علي؟ فقال: على رسلك انفذ حتى تنزل بساحتهم، فإذا أنزلت بساحتهم فادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم منه من الحق أو من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

قال أبو عمر:

هذا حديث ثابت في خيبر أنهم لم يقاتلهم حينئذ حتى دعاهم وهو شيء قصر عنه أنس في حديثه، وذكره سهل بن سعد وقد روى عن أنس أن رسول الله ﷺ أمر عليا أن لا يقاتل قوما حتى يدعوهم. رواه ابن عيينة عن عمر بن ذر عن ابن أخي أنس بن مالك عن عمه؟ وخالف أبو إسحاق الفزاري بن عيينة في إسناد هذا الحديث وابن عيينة أحفظ إن شاء الله.

قلت: وقال الإمام أبو الوليد بن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج١ ص٣٨٦ (الفصل الرابع في شرط الحرب: فأما شرط الحرب فهو بلوغ الدعوة باتفاق: أعني أنه لا يجوز حرابتهم حتى

يكونوا قد بلغتهم الدعوة، وذلك شيء مجتمع عليه من المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وأما هل يجب تكرار الدعوة عند تكرار الحرب؟ فإنهم اختلفوا في ذلك: فمنهم من أوجبها ومنهم من استحبها ومنهم من لم يوجبها ولا استحبها. والسبب في اختلافهم معارضة القول للفعل، وذلك أنه ثبت «أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا بعث سرية قال لأميرها: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم» وثبت من فعله عليه الصلاة والسلام أنه كان يبيت العدو ويغير عليهم مع الغدوات. فمن الناس وهم الجمهور من ذهب إلى أن فعله ناسخ لقوله وأن ذلك إنما كان في أول الإسلام قبل أن تنتشر الدعوة بدليل دعوتهم فيه إلى الهجرة. ومن الناس من رجح القول على الفعل، وذلك بأن حمل الفعل على الخصوص، ومن استحسن الدعاء فهو وجه من الجمع).انتهى.

قلت: ومن شروط بلوغ الدعوة وصولها بطريق صحيح غير مشوش إلى المدعوين، تتبين فيه مقاصد الإسلام وأهدافه، وسموه ورفعته وإنصافه، وأنه دين الفطرة لمن عرفه ودخل فيه.

أما أن يصل الإسلام إلى الناس مشوها ممسوخًا أحكامه، ثم ترتفع بعد ذلك الأصوات بإن الدعوة قد عمت المعمورة، رغم هذا الدولاب الإعلامي الجهنمي لتزييف صورة الإسلام وإشراقه وبهائه، مستغلا الصورة المظلمة لواقع المسلمين والتي أضرت بهذا الدين المتين، فنقول يا أخواننا المقصود بالدعوة ظهور الصفات الإيمانية واقعًا راسخًا في حياة المسلمين.

هذه الصفات التي على مثلها آمن الناس على عهد النبي ﷺ، والتي بها عرف الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، حتى صار ذكرها ذكره، فإذا قيل الأمين كان مرادف الكلمة محمدًا ﷺ، وإذا سئل عنه أعداؤه قبل أصحابه - رضي الله عنهم - كانت الإجابة تومئ بالقلوب إليه وتعطف بها عليه، وهو ما رواه الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش - وكانوا تجارا بالشام - في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء. فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا، قال: ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله! لولا أن يؤثروا عني كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون: قلت: بل يزيدون. قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد

أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم،ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد اعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه». انتهى.

وهذا عكرمة بن أبي جهل، أخرج الحاكم أبو عبدالله عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لما انتهيت لرسول الله ﷺ قلت: يا محمد! إن هذه أخبرتني أنك آمنتني. فقال رسول الله ﷺ: أنت آمن. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبدالله ورسوله وأنت أبر الناس، وأصدق الناس، وأوفي الناس. قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ رأسي استحياء منه ثم قلت: يا رسول الله! استغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم! اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك». قلت: يا رسول الله! مرني بخير ما تعلم فأعلمه. قال: قل: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتجاهد في سبيله». ثم قال عكرمة: أما والله! يا رسول الله! لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالا في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله.

وهذا صفوان بن أمية، أخرج ابن عساكر عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال لما كان يوم الفتح أسلمت امرأة صفوان بن أمية البغوم بنت المعدل من كنانة. وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعب وجعل يقول لغلامه يسار ـ وليس معه غيره ـ ويحك! انظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وهب رضي الله عنه. قال صفوان: ما أصنع بعمير والله! ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر محمداً عليّ فلحقه فقال: يا عمير! ما كفاك ما صنعت بي حملتني على دَيْنك، وعيالك، ثم جئت تريد قتلي. قال: أبا وهب! جُعلت فداك! جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس؛ وقد كان عمير قال لرسول الله ﷺ:

يا رسول الله! سيد قومي خرج هاربا ليقذف نفسه في البحر وخاف أن لا تؤمِّنه، فآمنْه فداك أبي وأمي. فقال رسول الله ﷺ : «قد آمنته». فخرج في إثره فقال: إن رسول الله ﷺ قد آمنك. فقال صفوان: لا، والله! لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها. فقال رسول الله ﷺ : «خذ عمامتي»؛ فرجع عمير إليه بها وهو البُرْد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذ معتجرا به بُرد حبرة. فخرج عمير في طلبه الثانية حتى جاء بالبرد فقال: أبا وهب! جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك وعزه عزك، وملكه ملكك، ابن أمك وأبيك! وأذكرك الله في نفسك. قال له: أخاف أن أقتل. قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام فإن يسرُّك وإلا سيَّرك شهرين فهو أوفى الناس وأبره وقد بعث إليك ببرده الذي دخل به معتجرا فعرفه. قال: نعم، فأخرجه فقال: نعم، هو! هو! فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يصلي بالناس العصر في المسجد فوقفا. فقال صفوان: كم يصلون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات. قال: يصلي بهم محمد؟ قال: نعم. فلما سلم صاح صفوان: يا محمد! إن عمير بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمرا وإلا سيَّرْتني شهرين. قال: «انزل أبا وهب». قال: لا، والله! حتى تُبين لي. قال: بل لك تسير أربعة أشهر. فنزل صفوان وخرج رسول الله ﷺ قبل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر وأرسل إليه يستعيره سلاحه فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها. فقال صفوان طوعا أو كرها. فقال رسول الله ﷺ : «عارية رادة فأعاره»، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين فشهد حنينا والطائف ثم رجع رسول الله ﷺ إلى

الجعـرانة. فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليـها ـ ومـعه صفوان بن أمـية ـ فجعل صفـوان بن أمية ينظر إلى شعب مـلأى نَعَما وشـاء ورعاء فـأدام النظر إليـه ورسـول الله ﷺ يرمـقه فـقـال: «أبا وهب! يعجبك هذا الشعب». قال: نعم. قال: «هو لك وما فيه». فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهـد أن محمـداً عبدهً ورسولُـه وأسلم مكانه. كذا في الكنز ج٥ ص٢٩٤. وأخرجـه ابن إسحـاق عن محمـد بن جعـفر بن الزبير عن عـروة عن عائشة رضي الله عنهـا مختـصرا؛ كمـا في البداية ج٤ ص٣٠٨.

وهذا سهيل بن عمرو رضي الله عنه وأهل مكة قبل أن يسلموا يوم الفتح، أخرج الإمـام البيهقي ج٩ ص١١٨ من طريق الـقاسم بن سلام ابن مـسكين عن أبـيـه عن ثابت البناني عن عـبـدالله بن رباح عن أبي هريرة ﷺ فذكر الحديث. وفيه: قال: ثم أتـى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فـقال: مـا تقولون؟ ومـا تظنون؟ قالوا نقـول: ابن أخ، وابن عم حليم رحـيم. قال: وقـالوا ذلك ثلاثا. فقـال رسول الله ﷺ: «أقـول كـمـا قـال يوسف: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾». قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام. قال البيهقي: وفيمـا حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة: إنه قال لهم حين اجـتمـعوا في المسجـد: ما ترون أني صانـع بكم؟ قالوا: خيرا! أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء ـ انتهى.

قلت: والآثار في هذا الباب وتقريره أكثر من أن تحصر ففيما ذكر إشارة إلى المقصود وتنويها على المراد..

والأدلة على مـراحل الجـهاد الدعـوي للصحـابة رضي الله عنهم وكون المقـصود من الجهاد الـهداية فإن تحقـقت بإقامة البـراهين كانت

أولى من القتال عندهم، ما أخرجه أبو داود في الجهاد باب «في دعاء المشركين» عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي كان يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم؛ فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، فإنكم لا تدرون ما يحكم الله فيهم ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم»(١). قال الترمذي: حديث بريدة حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الجهاد ج٢ ص٦٩ «باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، وأبو داود في الجهاد «باب في دعاء المشركين»، والترمذي في أواخر السير ما جاء في وصية النبي ﷺ في القتال، وابن ماجه في الجهاد «باب وصية الإمام»ج٢ ص٩٥٣، وفي التمهيد لابن عبدالبر ج٢ ص٢١٧، وفي سنن الإمام البيهقي ج٩ ص١٥ «باب الرخصة في الإقامة بدار الشرك لمن لا يخاف الفتنة»، ص٤٩ «باب السيرة في أهل الكتاب»، وفي شرح السنة للإمام البغوي ج٥ ص٥٤٥، ٥٤٦ «باب التأمير في الحرب ووصية الإمام الجيش»، وفي كنز العمال حديث ١١٤٢٩ «باب في أحكام الجهاد»، وفي الدر المنثور ج٣ ص٢٠٦.

وأخرجه أيضًا أحمد والشافعي والدارمي والطحاوي وابن حبان وابن الجارود وابن أبي شيبة وغيرهم، كما في كنز العمال ج٢ ص٢٩٧.

قلت: ففي الحديث المرحلة الأولى من دعوة الصحابة رضي الله عنهم في جهادهم وهي الدعوة الإجمالية إلى الإسلام، فإن أجاب الناس كف الصحابة عنهم وقبلوا منهم، ولهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فإن أبى الناس ذلك فالدعوة إلى المرحلة التفصيلية وهي الجزية، فإن أجابوا إلى ذلك فيقبل الصحابة منهم ويكفوا عنهم مع بقائهم على دينهم. ولو كان المقصود القتال لذاته ما أُقروا على الجزية مع بقائهم على الكفر.

وإنما كانت هذه المرحلة دعوة تفصيلية، لأنهم بإقرارهم على دينهم وأدائهم للجزية سوف يتلمسون عظمة هذا الدين ورفعته عن طريق معاملة المسلمين ومعاشرتهم.

فتكون هذه دعوة بالأعمال وصفات الإيمان إلى هذا الدين، فلا يجد الناس من قلوبهم بدًا من الإذعان لهذه القوة الدافعة من الأخلاق والصفات الإيمانية على الدخول في الاسلام.

وهو ما وصفوه بعد ذلك من قولهم عن الصحابة رضي الله عنهم وجدنا أُناسا أسواقهم كمساجدهم..!

فإذا كان الصدق في المسجد فالصدق أيضًا في السوق، وإن كانت الأمانة في المسجد فالأمانة أيضًا في السوق، وإذا كانت السكينة في المسجد فالسكينة أيضًا في السوق.

وما أخرج ابن منده وابن عساكر عن عبدالرحمن بن عائذ رضي الله عنه قال: **كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثًا قال: تألفوا الناس ولا تَغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا تأتوني بهم مسلمين أحب إليَّ من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم**[1]. **كذا في الكنز ج٢ ص٢٩٤، أخرجه أيضا ابن شاهين والبغوي كما في الأصابة ج٣ ص١٥٢، والترمذي ج١ ص١٩٥.**

قلت: **فتأمل كيف كان تألف الناس ودعوتهم هي وصية النبي ﷺ لسراياه، وهي المقصد من البعث قبل القتال والإغارة عليهم وكيف كان هداية الناس وإسلامهم أحب إلى النبي ﷺ من قتل رجالهم وسبي نسائهم وأولادهم، فالدعوة إلى الله تعالى كانت أساس جهادهم وروحه وغايته.**

وما أخرج عبدالرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا حتى دعاهم**»[2]. وكذلك رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه ـ كذا في نصب الراية ج٢ص٢٧٨. وقال الهيتمي ج٥ص٣٠٤ رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح انتهى.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الجهاد «باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث»، وأبو داود ج٣ ص٣٧ في الجهاد «باب في دعاء المشركين»، وكنز العمال للمتقي الهندي حديث ١١٣٠٠، ١١٣٩٦.

(٢) أخرجه الإمام ابن عبدالبر في التمهيد ج٢ ص٢١٧، والإمام البيهقي في السنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ «باب دعاء من لا تبلغه الدعوة من المشركين وجوبا ودعاء من بلغته نظرا».

وأخرجه أيضًا ابن النجار كما في كنز العمال ج٢ص٢٩٨، والبيهقي في سننه ج٩ ص١٠٧.

وما أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن عبدالرحمن بن حسان الكناني حدثني مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ أرسلهم في سرية. قال: **فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي وتبعت أصحابي واستقبلنا الحي بالرنين. فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا فقالوها وجاء أصحابي فلاموني وقالوا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا، فلما قفلنا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فدعاني فحسن ما صنعت وقال: أما إن الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا. قال عبدالرحمن: فأنا سبب ذلك قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «أما إني سأكتب لك كتابًا وأوصي بك من يكون بعدي من أئمة المسلمين ففعل وختم عليه ودفعه إليّ وقال لي: إذا صليت الغداة فقل قبل أن تكلم أحداً: اللهم! أجرني من النار - سبع مرات فإنك إن مت من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار، وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً: اللهم! أجرني من النار - سبع مرات فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار. فلما قبض الله رسوله ﷺ اتيت أبا بكر - رضي الله عنه - ففضّه فقرأه وأمر لي وختم عليه. ثم أتيت به عمر - رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك. ثم أتيت به عثمان - رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك. قال مسلم بن الحارث فتوفى الحارث في خلافة عثمان رضي الله عنه فكان الكتاب عندنا حتى ولى عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - فكتب إلى عامل قبلنا أن اشخص لي مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي بكتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لأبيه فشخصت به إليه فقرأه وأمر لي وختم عليه»[1]؛ كذا في كنز العمال ج٧ص٢٨، والمنتخب ج٤ص١٦٢.**

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣ حديث ٣٧٠٠٣.

قلت: فانظر كيف حَسَّن النبي ﷺ تقدم هذا الصحابي الجليل بأعمال الدعوة على القتال وكيف رجح النبي ﷺ ترجيحه لها بقوله إن لك من كل إنسان منهم كذا وكذا، وكافأه على ذلك بأن كتب له كتابا يوصي به من بعده من أئمة المسلمين ليبذلوا له العطاء وعلمه وخصه بكلمات يتعوذ بها ويستجير بها من النار وفي ذلك فضل أي فضل..

وأخرج ابن جرير الطبري (ج٤ ص٢٢٧) عن زياد بن جزء الزبيدي قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم وقفنا ببلهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا فقرأه علينا عمرو رضي الله عنه وفيه:

> اما بعد! فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه، ولعمري! لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلى من فيء يقسم ثم كأنه لم يكن فأعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومهم؛ فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؛ ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردهم ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به.

قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال فقال: قد فعلت. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبايا واجتمعت النصارى فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيّره بين الإسلام وبين النصرانية فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية. قال: ثم نحوزه إلينا وإذا اختار

النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية وجزعنا من ذلك جزعا شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم. قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم وقد اتى فيمن أتينا به أبي مريم عبدالله بن عبدالرحمن. قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زبيد. قال: فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية وأبوه وأمه وإخوته في النصارى فاختار الإسلام فحزناه إلينا ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شققوا عليه ثيابه ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ـ فذكر الحديث[1].

قلت: فانظر إلى فرحة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بماذا كانوا يفرحون؟! وكيف كانت هداية الناس وإسلامهم هي أعلى مقاصد قتالهم، وانظر إلى التكبير عند حصول الهداية كيف تعاظم وتعالى على تكبير فتح الأمصار والقرى.

فأحبوا الإسلام وأحبوا تبليغه ونشره، وأن تكون دعوته هي العليا في الأرض نصحًا للعباد، وتحصيلاً للزاد الذي يُرضي ربهم.

ثم تأمل على ماذا كانوا يجزعون.. وكيف كان حزنهم وألمهم على فوات الهداية للناس حتى يظنون أنهم يفقدون بهذه الهداية بعضهم.

فكانوا مبعوثين إلى العباد ليعبدوا ربهم، وينتقلوا بهم من الضيق إلى السعة ومن الجور إلى العدل كما قال سيدنا ربعي بن عامر رضي الله عنه **«إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه؛ فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى»[2].**

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ج٤ ص٢٢٧.

(٢) أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ج٧ ص٣٩.

وأخرج البيهقي عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: **فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه.** ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن يقفل خالدا إلا رجلا كان ممن مع خالد، فأحب أن يعقب مع علي فليعقب معه.

قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي. فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ثم تقدم فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان جميعًا، فكتب عليٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «**السلام على همدان! السلام على همدان**»[1].

قلت: فها هو خالد - رضي الله عنه - ومن معه من الصحابة - رضي الله عنهم - يمكثون ستة أشهر لمقصد الهداية ودعوة الناس.

وها هو النبيّ صلى الله عليه وسلم يسجد فرحًا وسروراً لتحقق الهداية، وقد حصلت بسلامٍ وبغير قتال.

والأمثلةُ والآثار في هذا الباب من السيرة النبوية العطرة كثيرة معلومة فيكفي السابق في الدلالة على اللاحق والإرشاد إليه.....

وهذا الإمام محمد أبو زهرة يقرر ما سبق في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» ص٤٧ فقال رحمه الله تعالى: «إذن فالقتال كان للدعوة، وليس للإكراه على الإسلام، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر، ومنع الظلم والعدوان وإرهاق الشعوب من أمرهم عسراً، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

ولم يكن القتال محبوبًا للنبي صلى الله عليه وسلم، إنما المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق مستشهدين في سبيله، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص١٠٥ وقال: قال البيهقي: رواه البخاري مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف.

احتجاج الإِمام النووي على فضل الدعوة بأحاديث الجهاد

وكلام الإمام البخاري، والإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام ابن علان، والإمام ابن بطال، والإمام المنذري، والإمام المناوي، والإمام السندي، والإمام البيهقي رحمهم الله تعالى في كون أحاديث الجهاد عامة تشمل القتال وغيره من الطاعات فيدخل فيها الدعوة.....

وقد ردَّ النبي ﷺ عليًّا ـ رضي الله عنه ـ من الوسيلة إلى المقصد، ومن الحسن لما يؤول إليه إلى الحسن لذاته فقد أورد شيخ الإسلام الحافظ النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين «**باب**» «**الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة**».

قال تعالى: ﴿**وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾[4].

ثم شرع رحمه الله تعالى في الأحاديث الخاصة بالباب، ومنها الحديث الثالث عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يُعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. قال علي رضي الله عنه: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفُذ على رسلكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه.**

---

(١) القصص: آية ٨٧.

(٢) النحل: آية ١٢٥.

(٣) المائدة: آية٢.

(٤)آل عمران: آية ١٠٤.

فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم»[1] متفق عليه.

قوله: «يدوكون»: أي يخوضون ويتحدثون.

قوله: «**رسلك**»: بكسر الراء وبفتحها لغتان، والكسر أفصح.

الحديث رواه البخاري في فضائل الصحابة (باب مناقب علي بن أبي طالب) والجهاد (باب فضل من أسلم على يديه رجل) وغيرهما، ومسلم في فضائل الصحابة «باب فضائل علي رضي الله عنه».

فانظر يرحمك الله تعالى كيف بوب شيخ الإسلام الإمام النووي رحمه الله تعالى وهو عمدة المجتهدين في الفقه والاستنباط على هذا الحديث بترجمة شافية وهي «باب الدلالة على خير» والدعاء إلى هدى أو ضلالة وهو من أحاديث الجهاد، وأورده أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري رحمه الله تعالى في باب الجهاد، وكأنه يشير رضي الله عنه إلى المقاصد التي شرع من أجلها الجهاد والتي من أجلّها الدلالة على الخير والدعاء إلى الهدى وفضل الدعوة في تحقيق ذلك، بل إن الإمام النووي صدر الباب بآيات كلها في فضل الدعوة والحديث من أحاديث الجهاد، فأورد قوله تعالى ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ مبينا الغاية من

---

(١) أخرجه الإمام البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر، والإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة «باب فضائل علي بن أبي طالب»، وفي الترمذي ٣٧٢٤، وفي النسائي ج٥ ص٤٦ «فضائل علي رضي الله عنه»، ورواه الإمام أحمد في المسند ج٤ ص٥٢، ج٥ ص٣٣٣، وفي السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٣١، ودلائل النبوة ج٤ ص١٠٥ «باب ما جاء في بعث السرايا إلى حصون خيبر وإخبار النبي ﷺ بفتحها على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودعائه له وما ظهر ذلك من آثار النبوة ودلالات الصدق»، وفي إتحاف السادة المتقين ج٧ ص١٨٨، وفي الحلية ج١ ص٦٢، وفي التمهيد ج٢ ص٢١٨، وفي طبقات ابن سعد ج٢ ص٨٠.

الجهاد وهو الدعوة إلى الله تعالى وكذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ فكان مقصد قتالهم نشر البر والتقوى والدعوة إلى الخير والهدى.

قال الشارحون في نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من إفادات الحديث:

١- سمو الإسلام في دعوته، وآدابه في جهاده، وغايته في إنقاذ الإنسانية من الضلال والضياع.

٢- فضل الدعوة إلى الله عز وجل والحث على الدلالة على الخير والحق، لما يثمره ذلك من عظيم الأجر ووافر الثواب.

قلت: فتأمل قولهم عن سمو الإسلام في دعوته، وآدابه في جهاده، وأن مقاصد وغايات الإسلام في جهاده إنقاذ الإنسانية من الضلال والضياع وهداية الحيارى والتائهين ودعوتهم وفضل هذه الدعوة.

كذلك تأمل في الحديث جواب النبي ﷺ على تساؤل علي رضي الله عنه: يا رسول الله. أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام».

وكيف أرشده ﷺ إلى أن القتال ليس مطلوبًا في ذاته، ولكن محمود لما يؤول إليه، محمود لمقصد الدعوة وهداية الناس لله تعالى.

وأكد ذلك ﷺ بقسمه حيث قال: «فوالله لإن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم».

فنقل رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه من الوسيلة إلى المقصد والغاية، وحثه على ذلك لما في المقصد وهو الدعوة من رتبة أعلى من وسيلته.

ونحن نُرغب فيما رغَّب فيه رسول الله ﷺ ونرجح ما رجَّح ونطلب المطلوب بالطلب الأول وهو الدعوة على المطلوب بالطلب الثاني وهو القتال، فهداية الناس أزكى وأطهر وهي الموافقة لمقاصد البعثة وهي المستطاعة والمقدور عليها الآن في ظل واقع المسلمين كمستضعفين الليل يطلبهم والنهار يرصدهم، خدمة لديننا ووقوفا أمام المقدور عليه من أحكامنا.....

«فالميسور لا يسقط بالمعسور» فإذا تعسر علينا القتال لعدم القدرة والاستطاعة وتملك أدواته وشروطه، فلا يسقط عنا الميسور وهو دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والحرص على أن يكونوا في الهداية بتعسر ما تعسر من المعسور، خاصة إذا كان الميسور كما سبق وبينا وعلى ذلك فصَّلنا ودلَّلنا هو أجل قدرا وأوفر ثوابا، وهو الأصل والمقصد الذي تدور حوله فروعه.

فإذا ما توصل أهل الدعوة لهذا الأصل المنشود بأي كيفية مقدورة وميسرة على أمة الإسلام، فما أزكى سبيلهم وما أشرف طريقهم ودعوتهم، وهي نفع لا ضر على المسلمين فيه، ومصالح محققه تامة كاملة بلا مفاسد تعتريها ولا بلايا تجهضها وتشقيها، ولا نتخيل أو نتصور إنسانا يأتي في هذا الزمان فيدعى أن الإمام النووي رضي الله عنه قد خلَّط في فهم الحديث، وأنه قد استشكل عليه معناه بحيث صرَّفه من باب الجهاد إلى باب من أبواب الدلالة على الخير والدعاء إلى هدى أو ضلالة....!!

بل أكثر من ذلك كونه مصدرًا الباب كله بآيات الدعوة والحديث من أحاديث الجهاد وهو في فتح خيبر.....!

كقوله تعالى: **﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾** وقوله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾** وقوله تعالى: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾**.

فهل شيخ الإسلام وعمدة المتأخرين المحققين وشارح صحيح مسلم التبست عليه أحاديث الجهاد فصرفها إلى الدعوة، أم أن المتكلمين بذلك هم الملتبس معهم الأمر في تخصيص هذه الأحاديث بالقتال وحده دون مخصص وبتقييد أحكامها المطلقة دون مقيد. . . . ! وقد اشتهر ذلك عن المتكلمين على أهل الدعوة حتى صارت قضية مسلمة وتهمة دامغة للدعاة أنهم يُصرِّفون آيات وأحاديث القتال إلى الدعوة، ولم يدروا أن المشكلة معهم والمعضلة منهم، فهم اللذين قيدوا المطلق بلا مقيد وخصصوا العام بلا مخصص ولو أبقوا العام على عمومه وفهموه بأصوله على وفق كلام أئمة الإسلام ما كان لنا هذه الحوارات ولا تلك التقريرات ولأغنونا وأغنوا أنفسهم عن الاتهام والطعن والثلب. . . . !

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا إنه لدميم
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وقد تتابع كثير من الأئمة على القول بعموم أحاديث الجهاد، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك:

المثال الأول: العلامة ابن علان يعقب في شرح رياض الصالحين المسمى بدليل الفالحين ج٤ ص١٠٩ على الحديث الذي رواه البخاري رضي الله عنه عن أبي عبس عبدالرحمن بن جبر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسهُ النار**»[1].

قال العلامة ابن علان رحمه الله تعالى: وفيه بشارة للمجاهد بالنجاة من النار وإن عُمم سبيل الله فحمل على كل طاعة كان زيادة في البشرى.

قلت: فإن جاء أحد الدعاة الآن فتلى هذا الحديث في فضل المغبرين أقدامهم للدعوة إلى الله تعالى معمما لمعناه كما نص على ذلك هذا الإمام الجليل لثارت في وجهه العواصف ورُمى بكل جليل وحقير أنه يُصرِّف أحاديث القتال إلى الدعوة، وما درى هذا القائل عموم معناه وأنه يشمل القتال وغيره من سائر الطاعات ومنها الدعوة، ولو أنصف في كلامه لما بنى حكمه على عبارات يرددها غيره وقد يكون أول من ألقى هذه العبارة لا يعلم مدلولها....!

المثال الثاني: قال العلامة السندي في شرح سنن النسائي قوله: «في سبيل الله» حمله على أن المراد سبيل الخير مطلقًا لا الجهاد بخصوصه وعلى كل تقدير فلابد من الإسلام والإخلاص.

المثال الثالث: نقل الإمام ابن حجر العسقلاني في ج٦ص٣٦ في شرحه على هذا الحديث عن الإمام ابن بطال رحمه الله تعالى أنه قال: والمراد في سبيل الله جميع طاعته. انتهى.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج٤ ص٢٥ كتاب الجهاد «باب من اغبرت قدماه في سبيل الله»، وفي مجمع الزوائد ج٥ ص٢٨٦، وفي مشكاة المصابيح كتاب الجهاد حديث ٣٧٩٤.

قال الإمام ابن حجر وهو كما قال إلا أن المتبادر عند الإطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد وقد أورده المصنف (أي البخاري) في «فضل المشي إلى الجمعة» استعمالا للفظ في عمومه ولفظه هناك «حرمه الله على النار». انتهى.

قلت: الإمام البخاري أورده في فضل المشي إلى الجمعة وفيه فوائد منها:

١ـ لفظ الحديث عن عباية بن رافع قال: أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه على النار»[(١)].

٢ـ إن هذا مثال رابع على استعمال الأئمة لأحاديث الجهاد في عمومها فقد استعمل الإمام البخاري للفظ «في سبيل الله» في عموم الطاعات، حيث استدل به على فضل المشي إلى صلاة الجمعة أي من اغبرت قدماه في المشي إلى الجمعة حرمه الله على النار، ومثل صلاة

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج٢ ص٩ كتاب الجمعة «باب المشي إلى الجمعة»، وفي الترمذي أبواب فضائل الجهاد «باب ما جاء من اغبرت قدماه في سبيل الله» وفي النسائي ج٣ ص١١ كتاب الجهاد «باب ثواب من أغبرت قدماه في سبيل الله»، وفي مسند الإمام أحمد ج٣ ص٣٦٧، ٤٧٩، ج٥ ص٢٢٥، ٢٢٦، وفي سنن الدارمي ج٢ ص٢٠٢ «باب في فضل الغبار في سبيل الله»، وفي مجمع الزوائد ج٥ ص٢٨٨، وفي كنز العمال كتاب الجهاد حديث ١٠٧٠٦، حديث ٤٣٠٣٣ كتاب المواعظ والحكم الباب الأول في المواعظ والترغيبات، وحديث رقم ٤٣٠٨٦، وفي شرح السنة ج٥ ص٥٠٨ كتاب السنة «باب فضل الجهاد»، وفي السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٦٢ «باب فضل المشي في سبيل الله»، وفي المطالب العالية ١٩٥٤ «باب شدة العدو والمشي»، وفي الترغيب والترهيب ج١ ص٤٨٦ كتاب الجمعة، ج٢ ص٢٧٢ الترغيب في الغدوة في سبيل الله والروحة.

الجمعة كل طاعـة من باب أولى، فيشمل المغبرين أقـدامهم في الدعوة وطلب العلم وبر الوالدين وغير ذلك مما يشمله العموم، وتراجم الإمام البخـاري رحمه الله تعالى وصـفها العلمـاء بإنها التراجم التي حـيرت العقول لما فيها من فقه وعلم واستنباط.

٣ـ إن الإمام البـخاري ترجح عنده الحـمل على عمـوم اللفظ وأن «سبيل الله» يشـمل كل طاعة، وليس مختصا بالقـتال وحده، لأن ذلك فعل الـراوي وترجيحـه حيث أنه أورد في سـند الحديث أن عبـاية بن رفاعة قال أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال سمعت النبي ﷺ يقـول: «من اغبرت قـدماه في سبيل الله حـرمه الله على النار» والراوي هو أدرى الناس بمـا روى فلو فـسـر مـا رواه علـى العـمـوم واستخـدمه في ذلك فهو من طرق التـرجيح فيحمـل «سبيل الله» على كل طاعة تبعا لترجيحه وفهمه رضي الله عنه.

قال الحـافظ ابن حجرج٢ص٤٥٥ في شرحـه للحديث في «باب المشي إلى الجمعة».

قوله (وأنا أذهب) كذا وقع عند البخاري أن القـصة وقعت لعباية مع أبي عـبس، وعند الإسمـاعيلي من رواية على بن بـحر وغيـره عن الوليد بن مـسلم أن القصة وقعـت ليزيد بن أبي مريم مع عبـاية، وكذا أخرجه النسائي عن الحـسين بن حريث عن الوليد ولفظه «حدثني يزيد قال: لحقني عباية بن رفاعة وأنا ماش إلى الجمعة» زاد الإسماعيلي في روايته «وهو راكـب»، فقال: احـتسب خطاك هذه وفي رواية النـسائي «فقـال أبشر فإن خـطاك هذه في سبيل الله، فـإني سمعـت أبا عبس بن جبر» فذكر الحديث، فإن كان مـحفوظًا احتمل أن تكون القصة وقعت لكل منهـما، وسيـأتي الكلام على المتن في كـتاب الجهـاد، وأورده هنا

لعموم قوله في «سبيل الله» فدخلت فيه الجمعة، ولكون راوي الحديث استدل به على ذلك. وقال ابن المنير في الحاشية: وجه دخول حديث أبي عبس في الترجمة من قوله «أدركني أبو عبس» لأنه لو كان يعدو لما احتمل وقت المحادثة لتعذرها مع الجري، ولأن أبا عبس جعل حكم السعي إلى الجمعة حكم الجهاد. وليس العدو من مطالب الجهاد فكذلك الجمعة، انتهى.

قلت: فانظر إلى قول الحافظ: (وأورده هنا لعموم قوله «في سبيل الله» فدخلت فيه الجمعة). انتهى.

وهذا ترجيح من الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى أن «سبيل الله» عام يُحمل على كل طاعة، ومنها الجمعة ومنها الدعوة وطلب العلم وبر الوالدين وغير ذلك كثير مما يحتمله العموم، كما تأمل تعليله رحمه الله للعموم بكون الراوي أيضًا رضي الله عنه قد استدل به على ذلك، وقول ابن المنير: «ولأن أبا عبس جعل حكم السعي إلى الجمعة حكم الجهاد».

المثال الخامس: الإمام الحافظ المنذري رحمه الله تعالى فقد استعمل في الترغيب والترهيب لفظ «في سبيل الله» في عموم الطاعات كما فعل الإمام البخاري حيث أورده في كتاب الجمعة [الترغيب في صلاة الجمعة والسعي إليها وما جاء في فضل يومها وساعتها] في الحديث الرابع عن يزيد بن أبي مريم قال: «لحقني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا أمشي إلى الجمعة فقال أبشر فإن خطاك هذه في سبيل الله سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله ﷺ: «من أُغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار»[1] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه البخاري وعنده قال عباية أدركني أبو عبس وأنا ذاهب إلى

---

(١) سبق تخريجه.

الجمعة فقال سمعت رسول الله ﷺ: «يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه على النار» وفي رواية «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار» وليس عنده قول عباية ليزيد. انتهى.

{الترغيب والترهيب ج١ ص٤٨٦ - كتاب الجمعة}.

قلت: فهل الإمام المنذري أيضًا ممن يُصرِّفون آيات وأحاديث القتال إلى غيرها، حيث أورد هذا الحديث في {الترغيب في صلاة الجمعة والسعي إليها، وما جاء في فضل يومها وساعتها}، أم أن الأفضل أن نقول أننا ضيقنا الواسع وصادمنا أئمة الإسلام في تناولهم لهذه الآيات والأحاديث فهم لم يخصوها بالقتال كما يدعي ذلك من يدعيه، وإنما عمموها واستعملوها في سائر الطاعات، ومنها الدعوة إلى الله تعالى، وهي من أجل السعي وأعلى القربات، حيث أنها سبب في إقامة الناس على الجمع والجماعات والسعي إليها، فتأخذ نفس أجور أهلها، وهذا من الخير المتعدي الذي هو أعلى درجة من الخير الذاتي.

المثال السادس: على عموم أحاديث الجهاد وأنها ليست خاصة بالقتال وحده بل تشمل جميع أوجه الطاعات والقربات ما أورده العلامة المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٧٦ قال: («في سبيل الله» أي في طريق يطلب فيها رضا الله فشمل طريق الجهاد وطلب العلم وحضور الجماعة والحج وغير ذلك لأنه اسم جنس مضاعف يفيد العموم). انتهى.

قلت: فيدخل في هذه العموم الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وغير ذلك من سائر الطرق التي يطلب فيها رضا الله تعالى وطاعة نبيه ﷺ.

المثال السابع: أورد الإمام مسلم رحمه الله تعالى في باب: «فضل الجهاد والخروج في سبيل الله».

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك»[1].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على الحديث ج١٣ص٢٢ قوله ﷺ: («والله أعلم بمن يكلم في سبيله»، هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا قالوا وهذا الفضل وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة وقطاع الطريق وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك والله أعلم). انتهى.

قلت: وهل عمل أهل الدعوة غير هذا فهم يأمرون بالمعروف، وأعرف المعروف الإيمان بالله تعالى، وينهون عن المنكر، وأنكر المنكر الكفر بالله تعالى وعصيانه، فهم يأمرون بالمعروف وجلب النفع كل

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج٤ ص٢٢ «باب من يجرح في سبيل الله عز وجل»، والإمام مسلم في كتاب الإمارة «باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله»، والترمذي ج٥ ص٢٩٨ أبواب فضائل الجهاد «باب ما جاء في فضل من يكلم في سبيل الله»، والنسائي ج٣ كتاب الجهاد «باب ثواب من كلم في سبيل الله»، رواه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢٤٢، وفي السنن الكبرى للإمام البيهقي ج٤ ص١١ كتاب الجنائز «باب المسلمون يقتلوهم المشركون في المعترك فلا يغسل القتلى ولا يصلى عليهم ويدفنون بكلومهم ودمائهم»، ج٩ ص١٦٤ كتاب السير «باب فضل من يجرح في سبيل الله»، وفي مشكاة المصابيح كتاب الجهاد ٣٨٠٢، وفي كنز العمال ١٠٥٤٠.

النفع لأي أحد بإدخـاله الجنة، وينهون عن المنكر ويدفعـون الضرر كل الضرر عن أي أحد بإبـعاده عن النار ومعصيـة الجبار سبحـانه، فالنهي عن الكفر بالله تعالى أفضل من كل نهي في باب النهي عن المنكر، كما قـال الأئمة رضي الله عنـهم ولا يقوم بهذه الوظيـفة في الغـالب إلا أهل الدعوة.

وانظر ـ رحمني الله واياك ـ إلى كلام شـيخ الإسلام الإمام النووي رحمـه الله تحت هذه الترجمة الحـافلة «باب فضل الجهـاد والخروج في سـبـيل الله»، وأنه يدخل فيه ـ أي في هذا الفضل ـ من خرج في سبيل الله في إقامـة الأمر بالمعروف والنهي عن المنـكر، وهذا هو روح عمل أهل الدعـوة، ثم عمـم الإمام النووي رضي الله عنـه صور هذا الخـروج في سبـيل الله تعالى فقـال (ونحو ذلك) أي ما كـان قريبـا من هذه الأمثلة التي ضربها، من قتال البغاة، وقطاع الطريق، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل قائم بواجب من الواجبات الـسابقـة فهو حائز على فضل الجـهاد، وفـضل الخروج في سبـيل الله، وقد عـاب البعض أهل الدعـوة والتبليغ كـونهم يقـولون أنهم «يخرجـون في سبـيل الله» فقـالوا هذا «الخروج في سـبيل الله» خـاص بالقتـال والجهاد لا بـعمل الدعوة، فكيف تطلقـونه على دعوتكم، وتقولون أن ما تقـومون به من أعمال خروجًا في سبيل الله.....!

ونحن نكتفي بهـذه النقول عن الإمام النووي خاتمة المحـققين، من كـون هذا «الخروج في سـبيل الله» عـام يشـمل الجهـاد، وقتـال البغـاة وقطـاع الطـريق، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك ـ أي قريبـا من هذه الأمثلة ـ فأطلق وعـمم رضي الله عنه الأبواب التي تندرج تحت صفة «الخـروج في سبيل الله» مما ينطبق أكثـرها على عمل أهل الدعوة، الذين يدعون إلى إقامـة الخير والإيمان في الأمة، ويأمرون

بالمعروف بالمعروف، وينهون عن المنكر بغير منكر، فهم لا يغسلون البول بالبول، ولا الدم بالدم، فدعوتهم موضوعها الحب الذي هو جلب النفع ودفع الضرر، وترك دعوتهم موضوعه البغض الذي هو جلب الضرر ودفع النفع. والنبي ﷺ قد جعل هذه الأمة أمة مبعوثة ترحم على الناس، كما كان هو ﷺ رحمة للعالمين.

المثال الثامن: على عموم أحاديث الجهاد وأنها ليست مخصصة بالقتال وحده وإنما تشمله وغيره وأن هذا من رحمة الله تعالى وفضله على هذه الأمة، ما رواه مسلم وروى البخاري بعضه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده، لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل[1]» رواه مسلم وروي البخاري بعضه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ج٢ ص١٤٥ كتاب الإمارة «باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله»، والنسائي في الإيمان «باب الجهاد»، والإمام أحمد في المسند ج٢ ص٣٩٩، ٤٢٤، والإمام البيهقي في السنن الكبرى ج٩ ص٣٩ كتاب السير «باب ما يجب على الإمام من الغزو بنفسه أو بسراياه كل عام»، وفي الترغيب والترهيب للإمام المنذري ج٢ ص٢٦٩ «الترغيب في الغدوة في سبيل الله والروحة وما جاء في فضل المشي والغبار في سبيل الله والخوف فيه».

قال العلامة ابن علان رحمه الله تعالى في دليل الفالحين ج٤ص٩٧ في الشرح على هذا الحديث «سبيل الله» الظرف مستقر في محل الحال والمراد به الجهاد، ومثله كل من جرح في ذات الله وكل ما دافع فيه المرء بحق فأصيب فهو مجاهد.

قلت: فهل هذا تخصيص وتقييد للحديث بالقتال فقط أم تعميم وإطلاق؟ وذلك قوله رحمه الله «ومثله كل من جرح في ذات الله وكل ما دافع فيه المرء بحق فأصيب فهو مجاهد» والمنصف من عرف الحق فعدل بقلبه إليه.

المثال التاسع: على عموم أحاديث الجهاد وأنها ليست مقيدة بالقتال ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»(١).

قال العلامة ابن علان رحمه الله تعالى في دليل الفالحين ج٤ ص٣١ في شرح الحديث (يصوم يومًا في سبيل الله) قيل المراد به الجهاد للكفار وقيل المراد منه طاعة الله.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري كتاب الجهاد فضل الصوم في سبيل الله، والإمام مسلم ج١ ص٤٦٦ كتاب الصيام «باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق»، والترمذي كتاب فضائل الجهاد «باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله»، والنسائي ج٢ ص٩٧ كتاب الصوم «ثواب من صام يومًا في سبيل الله»، وسنن الدارمي ج٢ ص٢٦٧ «باب من صام يومًا في سبيل الله»، وفي إتحاف السادة المتقين ج٤ ص٢٥٣ في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيها، وفي الترغيب والترهيب ج٢ ص٨٦ كتاب الصوم «الترغيب في الصوم مطلقًا وما جاء في فضله وفضل دعاء الصائم»، ص٢٦٦ ترغيب الغازي والمرابط في الإكثار من العمل الصالح من الصوم والذكر ونحو ذلك، وفي الدر المنثور ج١ ص١٨٢.

قلت: وطاعة الله تعالى عامة تشمل الدعوة وغيرها وهذا بين واضح لا لبس فيه.

المثال العاشر: على عموم أحاديث الجهاد وأنها ليست مقيدة بالقتال، ما رواه الإمام الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[1].

قال العلامة ابن علان رحمه الله تعالى في دليل الفالحين ج٤ص١٨٥ في شرح الحديث: «من خرج في طلب العلم» أي لطلب العلم الشرعي ومثله آلاته (فهو في سبيل الله) أي طاعته (حتى يرجع) إلى منزله، قال المظهري: وجه مشابهة طلب العلم بالجهاد في سبيل الله أنه إحياء الدين وإذلال الشيطان وإتعاب النفس وكسر الهوى واللذة.

قلت: وكذلك من خرج للدعوة إلى الله تعالى فهو في سبيل الله حتى يرجع لإنه إحياء للدين وإذلال للشيطان وإتعاب للنفس وكسر للهوى واللذة، ولا يخالف في أن هذه آثار للدعوة أحد....

وقال الإمام المناوي في شرحه لهذا الحديث في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص١٢٤: «فهو في سبيل الله» أي حكمه حكم من في الجهاد «حتى يرجع» لما في طلبه من إحياء الدين وإذلال الشيطان وإتعاب النفس كما في الجهاد فلذلك أشبهه، وفي قوله «حتى يرجع» إشارة إلى أنه بعد الرجوع وإنذار القوم له درجة أعلى من تلك الدرجة لأنه حينئذ وارث الأنبياء في تكميل الناقصين.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي حديث ٢٦٤٧ «باب فضل طلب العلم»، وأورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ج١ ص١٠٥ «الترغيب في الرحلة في طلب العلم» وقال الإمام المنذري رواه الترمذي وقال حديث حسن، وفي مشكاة المصابيح كتاب العلم ٢٢٠، وفي كنز العمال كتاب العمال ٢٨٨١٩.

قلت: وهذا ترجيح من العلامة المناوي على أن «سبيل الله» عام وليس مقيد بالقتال، حيث أدخل فيه هنا طلب العلم، وجعل حكم من طلب العلم كحكم من هو في الجهاد لما في طلبه من إحياء الدين وإذلال الشيطان وإتعاب النفس كما في الجهاد فلذلك أشبهه.

فهل نسمع صوتا الآن يتهم العلامة المناوي بكونه يصرف آيات وأحاديث الجهاد عن مدلولها إلى غير الجهاد كطلب العلم، وألا يكفي منطوق الحديث من النبي ﷺ الذي يقرر فيه أن الخارج في طلب العلم «في سبيل الله حتى يرجع» على تأكيد هذا العموم، ويجعل الذين قيدوه وخصصوه بالقتال وحده يعيدون النظر فيما ذهبوا إليه..!

المثال الحادي عشر: على أن أحاديث الجهاد عامة تشمل القتال وغيره، ما رواه الإمام البخاري - رضي الله عنه - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال؟ فقال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[1].

قال العلامة ابن علان - رحمه الله تعالى - في دليل الفالحين ج٤ص٧٩: (وفي التعبير عنه بالجهاد إيماء إلى عظيم فضله وحض عليه النساء فكيف بالرجال).

قلت: وفي إطلاق اسم الجهاد على الحج من النبي ﷺ دليل على عمومه وأنه يشمل القتال وغيره وأنه ليس مخصوصا بالقتال وحده، بل يدخل فيه الحج وغيره من سائر الطاعات.

وقال الإمام تقي الدين السبكي الشافعي في بيانه لمعنى «في سبيل الله» في فتاويه ج٢ ص٣٤٣: «معنى كونه في سبيل الله معناه في طريق استعمله الله فيها نصرة لدينه فهو عبد سار في طريق سيده لتنفيذ أمره».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج٢ ص١٦٤ كتاب الحج «باب فضل الحج المبرور»، والإمام النسائي ج٢ ص٣٢١ «باب فضل الحج»، وأورده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ج٢ ص١٦٢.

وجوب الجهاد وجوب

الوسائل لا المقاصد

والمقصود بالقتال هو الهداية

وبعد أن قرر أئمتنا أن الجهاد مطلوب طلب وسيلة، فهو حسنٌ لما يؤول إليه. . حسنٌ لمقصد الدعوة، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وذلة وإرغام الكافرين، ورفعة وإعزاز المؤمنين، حسن لما فيه من جلب مصالح ودفع مفاسد، وأن هذه الأمة كانت في جهادها، خير أمة أخرجت للناس، فكان مقصد جهادهم جلب النفع لكل أحد بإدخاله إلى الجنة ودفع الضرر عن كل أحد بإبعاده عن النار، ودعوة الأقوام الآخرين وتعبيدهم لرب العالمين، ورد التائهين الحائرين لحظيرة العبودية وشرف التوحيد، فعُبدَ اللهُ تعالى في الأرض بفضل جهادهم، ورُفِع ذكره واسمه في الخافقين بكتائبهم وسراياهم، ونطقت الفرس والروم بكلمة التوحيد، ودخل في الرسالة الأبيض والأحمر والأسود، ولم يكن هذا مقصد جهاد من سبق من الأمم، فتميزت به هذه الأمة الخاتمة الراحمة المرحومة، حيث أن تمام منفعة المسلم بتمام منفعتة للناس «الراحمون يرحمهم الرحمن».

قال الإمام الشربيني الخطيب في مغني المحتاج شرح المنهاج للإمام النووي ج٤ص٢١٠:

«وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد، إذ المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة وأما قتل الكفار فليس بمقصود حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد»انتهى.

قلت: فانظر ـ رحمني الله واياك ـ إلى كلام هذا الإمام الجليل رحمه الله تعالى أن الهداية ومعرفة الناس لمعبودهم هو الهدف المنشود لفرضية الجهاد، وأن قتل الكفار وازهاق أرواحهم ليس من المقاصد التي شرع من أجلها، بل لو أمكن أن يُعبد الله في الأرض بدون جهاد عن طريق الدعوة وإقامة البراهين لكان أولى وأحب من قتالهم

وقتلهم، وذلك لأن القتل يدخل الكافر إلى النار والدعوة تدخل الكافر إلى الجنة وإدخال الناس إلى الجنة من مقاصد الأنبياء، ونجاة الناس من النار من مقاصد البعثة.

وهل قام أهل الدعوة في هذا الزمان إلا بصرف تعلق الناس بالمخلوق إلى تعلقه بالخالق، وإقامة دلائل الهداية بغير نصب قتال وبحقن للدماء، وهل كانت جنايتهم إلا هذا؟، ومن نصدق إماماً من المجتهدين يفتي ويقرر بأنه لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد، أم الذين يلمزون المطوعين من الدعاة الصادقين بإنهم أماتوا الجهاد في الأمة...؟!

هذا الجهاد الذي يؤجِّجون ناره بغير مقاصده وشروطه، فكان فتنا كقطع الليل المظلم، والله تعالى أمرنا أن نقاتل «حتى لا تكون فتنة»، لا أن نقاتل لتكون الفتنة كما قال ابن عمر رضي الله عنه فالذي يثأر لنفسه ويغضب لنفسه، ويدعو على الناس لا يصلح أن يكون خليفة في الأرض، فلابد أن يكون في قلوبنا المحبة والحرص على أن يؤمن جميع الناس، فعواطف وهمم ورغبات الأنبياء في الهداية والرحمة غير عواطف إقامة الحجة على الناس وطرحهم في الضيعات.

فكان القيام على مقاصد الجهاد بالدعوة ونشر الهداية ودلالة الناس والمخلوقين على الخالق سبحانه إماتة للجهاد على مذهبهم وطريقتهم...! والقتال بغير شرائطه ولا تحقق مقاصده سموه جهادا في سبيل الله...! فاختلطت المفاهيم وأصبح المحمود المقصود بذاته مذموما...! وأصبح المذموم الذي هو على غير بابه ومصالحه ومقاصده محمودا...! وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا...!

ومن الراجح في قوله إمام من أئمة المسلمين يقرر «بأن وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد إذ المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة، وأما قتل الكفار فليس بمقصود»، أم هؤلاء اللائمون علينا، المقررون لوجوب الجهاد على أي حال، حتى وإن لم تتحقق شروطه ومقاصده، حتى ولو كان بالخلاف لما شرعه الله تعالى، حتى وإن كان فيه ذلة وإرغام المؤمنين، وعزة واستعلاء الكافرين، فهو مقصود عندهم لذاته بغض النظر عن الحكمة من مشروعيته وفرضيته....!

ففتنوا المسلمين به وفتنوا أنفسهم، ولاموا كل من هو على غير نحلتهم وطريقتهم، وكابروا الحس ونحوا العقل، حتى وهم يرون الآثار المدمرة لهذه المعطيات في أذهانهم على الإسلام وسيرته وصورته في أذهان العالمين...!

وقد سبق الإمام الشربيني الخطيب في هذا الاستدلال السابق الإمام تقي الدين السبكي الشافعي في فتاويه ج٢ ص٣٤٠، ٣٤١ حيث قال رحمه الله تعالى: « قوله ﷺ لعلي لما وجهه إلى خيبر «لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير من حمر النعم».

فرأينا قوله ﷺ ذلك في هذه الحالة يشير إلى أن المقصود بالقتال إنما هو الهداية والحكمة تقتضي ذلك فإن المقصود هداية الخلق ودعاؤهم إلى التوحيد وشرائع الإسلام وتحصيل ذلك لهم ولأعقابهم إلى يوم القيامة فلا يعدله شيء فإن أمكن ذلك بالعلم والمناظرة وإزالة الشبهة فهو أفضل ومن هنا نأخذ أن مداد العلماء أفضل من دم الشهداء. وإن لم يمكن إلا بالقتال قاتلنا إلى إحدى ثلاث غايات إما

هدايتهم وهي الرتبة العليا وإما أن نستشهد دونهم وهي رتبة متوسطة في المقصود ولكنها شريفة لبذل النفس فهي من حيث بذل النفس التي هي أعز الأشياء أفضل من حيث إنها وسيلة لا مقصود مفضولة والمقصود إنما هو إعلاء كلمة الله تعالى. وإما قتل الكافر وهي الرتبة الثالثة وليست مقصودة لأنها تفويت نفس يترجى أن تؤمن وأن تخرج من صلبها من يؤمن» انتهى كلام الإمام السبكي.

قلت: فانظر إلى قول هذا الإمام المجتهد في تعليقه على حديث النبي ﷺ عندما قال للإمام علي رضي الله عنه لما وجهه إلى خيبر «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**».

وكيف أنه رأى فيه، إشارة من النبي ﷺ إلى أن المقصود بالقتال إنما هو الهداية، وعطف على ذلك موضحا، بأن الحكمة أيضا تقتضيه، لأن المقصود والغاية في هذه الشعيرة هو هداية الخلق، ودعاؤهم إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى وحده، وتعريفهم بشرائع الإسلام، والحرص على فوزهم ونجاتهم، بتحصيل هذا الإيمان والإسلام لهم، ولأعقابهم وذرياتهم إلى يوم القيامة...

هذا المقصود الذي لا يعدله شيء في قيمته وأهميته، والتي تتعدى في مصالحها إلى الأجيال المتعاقبة إلى قيام الساعة..

فإذا تمكنا من تحصيل هذا المقصود وهو الهداية، عن طريق العلم والمناظرة وإزالة الشبهة، أو بالقياس على ذلك عن طريق الدعوة، بعرض الإيمان الصحيح لهم، وبالحرص على نجاتهم، والنصح والشفقة عليهم، كما هو دأب أهل الدعوة، في اجتهادهم على طوائف كثيرة منهم، فلا شك أن ذلك أفضل..

وهذه الوسائل السابقة، إنما كانت أفضل لكون المقصود وهو الهداية، يتحقق معها بدون صدامات ومواجهات..

ومن هنا استنبط الإمام تقي الدين السبكي أن مداد العلماء أفضل من دم الشهداء، لأن به تتحقق الهداية بدون جراحات وإصابات، في النفس أو المال..

وانظر إلى ما قرره هذا الإمام الجليل، أنه إن لم يمكن تحقق هذا الأمر وتعذر ذلك إلا بالقتال، كان ذلك على إحدى ثلاث غايات أو مقاصد:

الغاية الأولى أو المقصد الأول «**الهداية**»، وهي أجل الغايات، وأسمى المقاصد، وهي الرتبة العليا، التي لا يساويها غيرها.

أما الغاية الثانية فالشهادة وهي رتبة متوسطة في المقصود، لكونها وسيلة لا مقصود مفضولة، والمقصود هو إعلاء كلمة الله تعالى.

أما الغاية الثالثة أو الرتبة الثالثة فهي قتل الكافر وليست مقصودة، لما يترتب عليها من تفويت نفس بالموت، كان يترجى أن تؤمن، أو أن يخرج من صلبها من يؤمن..

والمؤمن الكامل حريص على نجاة كل أحد، والأخذ بيده إلى الجنة لا إلى النار، وهذا رسولنا الحبيب ﷺ لما رأى الجنازة التي لم يُقدَّر لصاحبها الإيمان، يقول متحسرا عليها «**نفس تفلتت مني إلى النار**» فتأسف ﷺ على عدم فوز ونجاح وإيمان صاحبها، وفوات نفسه دون أن يتحصل على الإيمان..

وهذا هو الواجب في نيـة وقـصد كل مـؤمن لكل أحـد، وإليك تأكيد وتقـرير ما سبق كمـا جاء في الحديث الصحـيح في مسلم عن عبدالرحـمن بن عائذ ﵁ قال: كان رسـول الله ﷺ إذا بعث بعثا قال: **تألفوا الناس ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت مـدر ولا وبر إلا تأتوني بهم مـسلمـين أحب إليَّ من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم**».

نسـأل الله تعالى أن يـهدينا ويهـدي بنا، ويجـعلنا سـببـا لمن أهتدى، بأصلح وأفضـل وأوضـح سبـيل، أنه على ما يشـاء قدير، وبالإجـابة جدير. . آمين.

بيان تقدم معرفة الإيمان على القتال

مع كون القتال أشق

قد يقول قائل كيف يكون معرفة الايمان بالله عن طريق الدعوة إليه وإبلاغ الرسالة أفضل من الجهاد وهو أشق وأعلى تضحية. . . . ؟

فالجواب ما بينه سلطان العلماء العز بن عبدالسلام في القواعد ج١ص٣٤: حيث قال: «فإن قيل: قد يترتب في الشرع على الفعل اليسير مثل ما يترتب على الفعل الخطير، كما رتب غفران الذنوب على الحج المبرور، ورتب مثل ذلك على موافقة تأمين المصلى تأمين الملائكة، ورتب غفران الذنوب على قيام ليلة القدر، كما رتبه على قيام جميع رمضان، فالجواب أن هذه الطاعات وإن تساوت في التكفير فلا تساوي بينها في الأجور؛ فإن الله سبحانه وتعالى رتب على الحسنات رفع الدرجات وتكفير السيئات، وكلامنا في جملة ما يترتب على الفعل من جلب المصالح ودرء المفاسد، وذلك مختلف فيه باختلاف الأعمال. فمن الأعمال ما يكون شريفًا بنفسه وفيما رتب عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد، فيكون القليل منه أفضل من الكثير من غيره، والخفيف منه أفضل من الشاق من غيره، ولا يكون الثواب على قدر النصب في مثل هذا الباب كما ظن بعض الجهلة، بل ثوابه على قدر خطره في نفسه، كالمعارف العلية والأحوال السنية والكلمات المرضية. فرب عبادة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وعبادة ثقيلة على الإنسان خفيفة في الميزان بدليل أن التوحيد خفيف على الجنان واللسان وهو أفضل ما أعطيه الإنسان ومنّ به الرحمن، والتفوه به أفضل من كل كلام، بدليل أنه يوجب الجنان ويدرأ غضب الديان، وقد صرح عليه السلام بأنه أفضل الأعمال، لما قيل له أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله»، وجعل الجهاد دونه مع أنه أشق منه،

وكذلك معرفة التوحيد أفضل المعارف، واعتقاده أفضل الاعتقادات، مع سهولة ذلك وخفته مع تحققه، وقد كانت قرّة عين النبي ﷺ في الصلاة، وكانت شاقة على غيره، وليست صلاة غيره مع مشقتها مساوية لصلاته مع خفتها وقرتها، وكذلك إعطاء الزكاة عن طيب نفس أفضل من إعطائها مع البخل، ومجاهدة النفس.

وكذلك جعل رسول الله ﷺ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، وجعل للذي يقرؤه يتعتع فيه وهو عليه شاق أجرين، ومما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ما روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا بلى قال: «ذكر الله»، قال معاذ بن جبل: ما شيء أنجا من عذاب الله من ذكر الله»[1]، رواه الترمذي.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي٣٣٧٧ كتاب الدعاء «باب ما جاء في فضل الذكر»، ورواه الإمام أحمد في المسند ج٥ ص١٩٥، وفي الأذكار للإمام النووي ص١٩، وأخرجه العراقي في الدعوات ج١ ص٣٠٢ «باب في فضيلة الذكر»، وفي مشكاة المصابيح ج١ كتاب الدعوات «باب ذكر الله عز وجل والتقرب إليه حديث ٢٢٦٩، وفي كنز العمال ١٧٦٧ في الذكر وفضيلته، وفي إتحاف السادة المتقين ج٥ ص٧، وفي التمهيد ج٦ ص٥٨، وفي شرح السنة للبغوي ج٣ ص٦٦ كتاب الدعوات «باب فضل ذكر الله ومجالس الذكر»، وفي الترغيب والترهيب للمنذري ج٢ ص٣٩٥ كتاب الذكر والدعاء «الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا والمداومة عليه».

ومما يدل على ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»[1]، أخرجه مسلم في صحيحه. وكذلك قوله عليه السلام فيما رواه أبو هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]، أخرجاه في الصحيحين.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الذكر ج٢ ص٤٧٢ «باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء»، وفي الترغيب والترهيب للإمام المنذري ج١ ص٤٥٠ وقال الإمام المنذري رواه مسلم واللفظ له والترمذي والنسائي وأبو داود، وفي مشكاة المصابيح ٢٩٧.

(٢) أخرجه الإمام البخاري ج٨ ص١٠٧ كتاب الإيمان والنذور «باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى»، وفي الدعوات «باب فضل التسبيح»، وفي التوحيد «باب قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾»، أخرجه الإمام مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار «باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء»، وفي الترمذي كتاب الدعوات «باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد»، ورواه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢٣٢، وفي إتحاف السادة المتقين ج٥ ص١٥، وفي الترغيب والترهيب ج٢ ص٤٢٠ «الترغيب في التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد على اختلاف أنواعه»، وفي كنز العمال ٢٠٠٧، ٢٠٤٩، وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٧١، وفي شرح السنة للبغوي ج٣ ص٨١ كتاب الدعوات «باب ثواب التسبيح»، وفي مشكاة المصابيح ٢٢٩٨ «باب ثواب التسبيح والتحميد والتهليل» وفي الأذكار للإمام النووي ١٦ «باب مختصر في أحرف مما جاء في فضل الذكر غير مقيد بوقت» وفي العراقي على الإحياء كتاب الأذكار والدعوات فضل التسبيح والتحميد وبقية الأذكار.

والحاصل بأن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف، فإن تساوى العملان من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾[1].

قلت: فلشرف الدعوة وعظيم فضلها في جلب المصالح ودرء المفاسد تقدمت على غيرها وذلك مما منّ الله تعالى به على أهلها، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(١) سورة الزلزلة: آية ٧.

القتال مقفول بشروطه ومقاصده

والدعوة مفتوحة

القتال مقفول بشروطه ومقاصده والدعوة مفتوحة، فإن تحقَّقت شروطه فهو محمود من الشارع سبحانه وتعالى، وإن لم تتحقق شروطه ومقاصده فعلى حسب المفسدة المترتبة على ذلك: فإن أدت إلى استئصال المسلمين، واستباحة بيضتهم وضياع هيبتهم، وضعفهم وذلتهم، وقوة واستعلاء المشركين عليهم، فهذا مذموم غير محمود، وهذا الذي منعه أئمتنا رضي الله عنهم.

والشرط هو ما يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يلزم من وجوده وجود المشروط ولا عدمه، فهو يؤثر من جهة العدم فقط .

قال الجمهور: فلو لم يكن الأمر بالشيء أمرًا بشرطه للزم من ذلك أحد أمور ثلاثة كلها باطلة.

أولها: أن يكون الإتيان بالمشروط دون شرطه صحيحا لأنه أتى بجميع ما أمر به، لأن الشرط لم يُطلب بالأمر الذي طُلب به المشروط، ولاشك أن فعل المشروط بدون شرطه باطل؛ لأن الشرط ما يلزم من عدمه عدم المشروط وقد وجد المشروط بدون شرطه، فلا يكون الشرط شرطا وهو محال.

ثانيًا: أن يكون التكليف خاصا بالمشروط دون الشرط، وهذا يقتضي أن المشروط لا يجوز تركه والشرط يجوز تركه، وجواز ترك الشرط يلزمه جواز ترك المشروط، حيث أن المشروط لا يوجد بدون شرطه. وحينئذ يكون المشروط غير جائز الترك لتعلق التكليف به، وجائز الترك لترتبه على جواز ترك الشرط الذي اقتضاه عدم تعلق التكليف به وذلك جمع بين النقيضين وهو محال.

ثالثهما: أن يكون الشخص مكلفا بالإتيان بالفعل ولو في حال انعدام الشرط لأنه لا مدخل له في التكليف بالفعل حيث إن الأمر بالمشروط ليس أمرًا به. والإتيان بالفعل وقت انعدام الشرط محال.

لأن المشروط يستحيل وجوده عند انعدام شرطه: فيكون التكليف بالفعل عند انعدام الشرط تكليفا بالمحال وهو غير واقع بالاتفاق. وحيث ثبت أن هذه الأمور الثلاثة باطلة كان ما ترتب عليها وهو أن الأمر بالشيء ليس أمرًا بشرطه باطلا. وثبت أن الأمر بالمشروط أمر بشرطه.

قلت: إذن فالأمر بالجهاد أمر بشروطه أيضًا، فإذا وجدت شروطه فالجهاد على بابه، وإن فُقدت شروطه لم يكن محمودا، وتجري عليه أحكام الكراهة أو التحريم على حسب المفسدة المترتبة على ذلك، **فتحصل لنا من المقدمة السابقة أنه لابد في أي أمر شرعي من تحقق شروطه، وأن الأمر بالشيء أمر بشرطه، فالأمر بالجهاد هو أمر به عند قيام شروطه.**

وشروط الجهاد عديدة وكثيرة منها:

الجماعة - الإمام أو الخليفة - القطر أو الدولة - تمايز الصفوف....

وغير ذلك، وهذه الشروط لها موضع آخر نتكلم عليها فيه بالاستفاضة لأهميتها أما الآن فسوف نتكلم على الشروط التي لها تعلق ببحثنا وهي الموانع الحسية..

ومن أهم شروط وجوب الجهاد وهي الموانع الحسية:

الأول (الإسلام) فلا جهاد على كافر.

الثاني (البلوغ) فلا جهاد على صبي لأن النبي ﷺ رد ابن عمر - رضي الله عنهما - وابن عمر يوم أُحد كان إذ ذاك ابن أربع عشرة سنة، وأجازه يوم الخندق وكان إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة.

الثالث (العقل) فلا جهاد على مجنون لعدم تكليفه كالصبي ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾[1] قيل هم الصبيان لضعف أبدانهم وقيل هم المجانين لضعف عقولهم.

الرابع (الحرية) فلا جهاد على رقيق أي سواء أكان ذكرًا أو أنثى

---

(١) سورة التوبة: آية ٩١.

لقوله تعالى: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[1] ولا مال للرقيق ولا نفس له يملكها فلم يشمله الخطاب.

الخامس (الذكورية) فلا جهاد على امرأة وخنثى مشكل أي لضعفهما غالبا ولقوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾**[2] ولفظ المؤمنين ينصرف للرجال دون النساء.

السادس (الصحة) فلا جهاد على مريض بمرض يمنعه عن قتال وركوب إلا بمشقة شديدة كحمى مطبقه؛ لقوله تعالى: **﴿ولا على المريض حرج﴾**[3].

السابع (الطاقة على القتال) أي القدرة عليه بالبدن والمال من نفقة وسلاح وكذا بالمركوب إن كان سفره سفر قصر فإن كان دونه لم يشترط المركوب إن كان قادرا على المشي وإلا اشترط ولابد أن يكون ذلك فاضلا عن مؤنة من تلزمه مؤنته ذهابا وإيابا كما في الحج.

فلا جهاد على أقطع يد مثلا ولا على من عدم أهبة القتال أي ما يتأهب به ويستعد به للقتال كسلاح ومركوب.

فالأمر إذا تعذر سقط وقد جعل الله تعالى القدرة على امتثال الأمر شرطًا لوجوبه على المكلفين، فلو لم يقدروا أو تعذر قيامهم به ارتفع حكم وجوبه عليهم لما فيه من المشقة، وانتقل الحكم بمرونته على وفق حالهم، فلو كانت القدرة بمنسوب منخفض كان الحكم على وفقها من الندب أو الإباحة، أما لو انعدمت كلية بحيث لو قاتلوا لصاروا إلى حالة من الاستئصال والمغايرة للمقاصد العامة والمصالح التي شرع من أجلها القتال، فقتالهم في هذه الحالة ليس على بابه،

---

(١) سورة الصف: آية ١١.
(٢) سورة الأنفال: آية ٦٥.
(٣) سورة الفتح: آية ١٧.

وليس مما شرع لهم مولاهم؛ حيث أن حسن الوسائل بحسن مقاصدها، ولا يمكن إهمال القصد الذي من أجله شرع الأمر، وإلا لأسقطنا علل الأحكام بالكلية وصار الأمر إلى فوضى لا عقلانية.. يدلي فيها كل أحد بدلوه، ولصرنا بالمباعدة والمخالفة التامة للصورة المشرقة المضيئة التي تأصلت لنا في نصوص القرآن والسنة المطهرة وأن الأمر بهما أمر بما فيه النفع والمصلحة، ورفع ودفع المشقة والعنت والضيق والحرج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[3].

قال في تهذيب الفروق ج١ ص١٣١: «وهي آيات تدل دلالة واضحة على أن الله شرع الأحكام سهلة ميسرة على العباد فما من عمل من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهو في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه».

قلت: فإن تحولت الأعمال التي كلف بها العباد بحيث صارت خارجة عن وسعهم، وفوق طاقتهم، بحيث تلحقهم بها عند الامتثال المشقة المؤثرة في حال من أحوالهم الضرورية، جاء التيسير والتسهيل من الشارع سبحانه في هذه الحالة؛ حيث أن القصد من التكليف بها ليس هو ذات المشقة، بل لما فيها من المصالح العائدة عليهم عاجلة أو آجلة.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «وقصد الشارع من التكليف بهما ليس القصد منه نفس المشقة بل لما فيهما من المصالح العائدة على المكلف» الموافقات ج٢ ص٨٠، ٨١

---

(١) سورة الحج: آية ٧٨.

(٢) سورة النساء: آية ٢٨.

(٣) البقرة: آية ٢٨٦.

قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله: «وليس المقصود من هذا التكليف إعنات الناس بل تحقيق مصالحهم وما فيه خيرهم في حياتهم وبعد مماتهم».

قلت: وقد راعى الشارع سبحانه وتعالى في كل ما أمرنا به مقدرتنا على ذلك، وإمكانية قيامنا به. . . .

قال الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في زاد المعاد ج٢ص٥٨: «فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج وكان أولى بهم من أنفسهم رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] وقد قالت طائفة إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية وهذا غلط لوجوه:

أحدها: أن الله لم يأذن بمكة في القتال ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة.

الثاني: أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم فإنه قال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[2] وهؤلاء هم المهاجرون.

---

(١) سورة الحج: آية ٣٩.

(٢) سورة الحج: آية ٤٠.

الثالث: قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1] نزلت في الذين تبارزوا في يوم بدر من الفريقين.

الرابع: أنه قد خاطبهم في آخرها بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ والخطاب بذلك كله مدني فأما الخطاب ﴿يأيها الناس﴾ فمشترك.

الخامس: أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2] فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة وأما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف.

السادس: أن الحاكم روى في مستدركه من حديث الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[3] وهي أول آية نزلت في القتال وإسناده على شرط الصحيحين وسياق السورة يدل على أن فيها المكي والمدني فإن قصة إلقاء الشيطان في أمنية الرسول مكية والله أعلم.

(فصل ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك) لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[4] ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرمًا ثم مأذونًا به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد فعلى كل مسلم أن

---

(١) سورة الحج: آية ١٩.
(٢) سورة الفرقان: آية ٥٢.
(٣) سورة الحج: آية ٣٩.
(٤) سورة البقرة: ١٩٠.

يجاهد بنوع من هذه الأنواع أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء كما قال تعالى: ﴿انفرُوا خفَافًا وَثقَالاً وَجَاهدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون﴾[1] انتهى.

قلت: فانظر إلى قول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ «إن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة» فلم يأذن لهم سبحانه وتعالى لعدم القدرة والطاقة، فلطف بهم في أحكامه وكلفهم ما يطيقون.

وانظر إلى كلامه رحمه الله مشيراً إلى الجهاد أنه عام يشمل الجهاد باليد وغيره، فيدخل فيه الجهاد بالدعوة والحجة والتبليغ والبيان حيث قال: «الخامس أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: ﴿فَلا تُطعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهدْهُم بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة أما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف». انتهى.

وتأمل قوله رحمه الله تعالى عن الجهاد: «وكان محرمًا ثم مأذونا به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور». انتهى.

والسؤال المتبادر الآن على هذا الكلام لماذا كان الجهاد محرما؟ وهل يمكن أن يقوم المرء لهذا الأمر ويقع في التحريم؟

والجواب كان الجهاد محرمًا لأنه لمن يكن على بابه، ولم تتحقق شروطه!

---

(١) التوبة: آية ٤١.

ومنها الطاقة على القتال التي عبر النبي ﷺ بقوله لمن سأله أن يقاتل قال ﷺ: «إنا قليل»، فلو كان بالمؤمنين قلة وضعف إيماني، بحيث لو قاتلوا لاستئصلوا، يحرم القتال، لأن استئصال المؤمنين لا يتحقق معه المقاصد التي شرع من أجلها القتال، فالحالة والصفة التي عليها المسلمون معتبرة عند الشارع سبحانه، وهي مؤدية إلى التخفيف عند وجود الضعف المؤدي إلى عدم المقدرة على القيام بالأمر وتعذره، لما فيه من مشقة قال تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾[1] فانتقل الحكم من وجوب ثبات الواحد أمام العشرة، والإثم عند الفرار، إلى ثبات الواحد أمام الأثنين فقط، والإثم في هذه الحالة من الفرار أمامهما، فصفات الإيمان المترددة بين القوة والضعف، هي المحك والأساس في ميزان الشرع، مع ما يصحبها من قدرة اعتبرها الشارع سبحانه بقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2] وعبر عنها الأئمة بقولهم «لا تكليف إلا بمقدور»، فمع هذه الصفات الإيمانية القوة والغلبة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

فكم الآن نسبة هؤلاء الصابرون؟ وأين الصفات الإيمانية في الأمة التي تتحمل بها المصارعة والمواجهة لغير المسلمين، وكم نسبة القوة والضعف؟، فالله تعالى لما أمرنا بالتقدم قيد ذلك بشروط فالتقدم بدونها مخالفة واضحة؛ لأنه تقدم في موضع أراد الشارع فيه سبحانه أن نتأخر، بل خاطب نبيه ﷺ بالإعراض بقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[4] وظاهر الوقوع في مخالفة هذا الأمر التحريم لمن كان

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٦.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٩.
(٤) سورة الحجر: آية ٩٤.

حاله كحال النبي ﷺ عند مخاطبة الله إياه بهذا النص، وهذا جواب عن السؤال الثاني وهو: هل يمكن أن يقوم المرء للجهاد ويقع في التحريم؟

والجواب نعم وذلك لما في القيام للجهاد مع عدم الاستطاعة، ووفق هذه الحالة من ضياع للمصالح التي شرع من أجلها، والوقوع في المفاسد المترتبة على ذلك، من استئصال المسلمين، واستباحة بيضتهم، وضياع هيبتهم، وضعفهم وذلتهم، وقوة واستعلاء المشركين عليهم، وفي هذا من القبح والذم ما فيه..

قال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام في قواعد الأحكام في مصالح الأنام ج ١ ص ١١١:

المثال الأربعون: (التولي يوم الزحف مفسدة كبيرة لكنه واجب إذا علم أنه يقتل من غير نكاية في الكفار، لأن التغرير بالنفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين بالنكاية في المشركين، فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام لما في الثبوت من فوات النفوس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام. وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة).انتهى.

فإذا كان حال المسلمين في أي زمان ومكان مشابها لهذه الحال، ولحال النبي ﷺ عندما كان بمكة فيسعه ما وسع النبي ﷺ ووسع أصحابه، من الكف عن المشركين وعدم القتال لانعدام القدرة والطاقة عليه.

وقد أكـد الإمام ابن قـدامة في المغني هذا الكلام السـابق أن الأمر بالقتال عند الضـعف وعدم الاستطاعة على حسب المصلحـة والمفسدة وتحقق مـقاصد الـقتال، وإلا فـدفع القتال بأي شيء أمكـن هو المتعين، فقال: (فصل) وتجوز مهـادنتهم على غير مال لأن النبي ﷺ هادنهم يوم الحديبية على غير مـال ويجوز ذلك على مال يأخذه منهم فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مـال أولى، وأما إن صالحهم على مال نبذله لهم فـقد أطلق أحمـد القول بالمنـع منه وهو مذهب الشـافعي لأن فـيه صغاراً للمسـلين وهذا محمول على غير حـال الضرورة فأما إن دعت ضـرورة وهو أن يخاف على المـسلمين الهلاك أو الأسـر فـيجـوز لأنه يجوز للأسـير فـداء نفسه بالمـال فكذا ههنا ولأن بذله المال إن كان فـيه صـغار فـإنه يجوز تحـمله لدفع صـغار أعظـم منه وهو القتل والأسـر وسبى الذرية الذين يفضي سبيهم إلى كفرهم.

وقد روى عـبدالرزاق في المغـازي عن معـمر عن الزهري قـال: أرسل النبي ﷺ إلى عـيـينة بن حـصـن وهو مع أبي سـفـيـان يعني يوم الأحـزاب: أرأيت إن جعلت لك ثلث تمـر الأنصار «أترجع بمن مـعك من غطفـان وتخذل بين الأحـزاب» فأرسل إلـيه عـيينة إن جـعلت لي الشطر فعلت.

قال معمر فحدثني ابن أبي نجيح أن سـعد بن معاذ وسعد بن عبادة قالا: يا رسـول الله والله لقد كان يجر سـرمه في الجاهليـة في عام السنة حول المدينة مـا يطيق أن يدخلها فالآن حين جاء الله بالإسـلام تعطيهم ذلك فـقال النبـي ﷺ : «فنعم إذاً» ولولا أن ذلك جـائز لما بذله النبي ﷺ .انتهى. (المغني ج٨ ص٤٨١).

وروى أن الحارث بن عمرو الغطفاني بعث إلى النبي ﷺ فقال: «إن جعلت لي شطر ثمار المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجلاً. فقال له النبي ﷺ : «حتى أشاور السعود يعني سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وسعد بن زرارة»[1] فشاورهم النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن كان هذا أمر من السماء فتسليم لأمر الله تعالى وإن كان برأيك وهواك اتبعنا رأيك وهواك؛ وإن لم يكن أمر من السماء ولا برأيك وهواك فوالله ما كنا نعطيهم في الجاهلية بسرة ولا تمرة إلا شراء أو قرى فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام، فقال النبي ﷺ لرسوله أتسمع؟ فعرضه النبي ﷺ ليعلم ضعفهم من قوتهم. فلولا جوازه عند الضعف لما عرضه عليهم. انتهى (المغني ج٨ص٤٦٠، ٤٦١).

قال الإمام ابن قدامة في المغني ج٨ص٤٥٩: وروى مروان ومسور ابن مخرمة أن النبي ﷺ صالح سهيل بن عمرو بالحديبية على وضع القتال عشر سنين، ولأنه قد يكون بالمسلمين ضعف فيهادنهم حتى يقوى المسلمون، ولا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين. إما أن يكون بهم ضعف عن قتالهم وإما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم أو في أدائهم الجزية والتزامهم أحكام الملة أو غير ذلك من المصالح». انتهى.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ج١٥ص١٧٤: «والمصلحة في ذلك تتنوع فتارة تكون المصلحة الشرعية القتال، وتارة تكون المصلحة المهادنة، وتارة تكون المصلحة الإمساك والاستعداد بلا مهادنة». انتهى.

---

(١) كذا في الأصل والصحيح أسعد بن زراره.

قلت: فدار أمر القتال على المصلحة وهي قد تكون في القتال، أو في المهادنة والكف عند عدم تحققها بالقتال، أما إخواننا الذين يُصرون أن المصلحة محصورة في ذات القتال، ومتحققة فيه على الإطلاق، تحققت مقاصده أم لم تتحقق! وأن القتال مقصود في نفسه..!

فنقول لهم: غابت عنكم يا إخواننا مقاصده فتعبتم وأتعبتم الأمة وأتعبتمونا، وضاع الكلام بعجز الأفهام عن دقائق مسائله وفروعه.

وقد أجاب سلطان العلماء على من ظن أن الجهاد متقرب به؛ لكونه حسن في ذاته فقال - رضي الله عنه - في قواعد الأحكام: «فإن قيل الجهاد إفساد وتفويت النفوس والأطراف والأموال وهو مع ذلك قربة إلى الله. قلنا لا يتقرب به من جهة كونه إفساد، وإنما يتقرب به من جهة كونه وسيلة إلى درء المفاسد وجلب المصالح كما أن قطع اليد المتأكله وسيلة إلى حفظ الأرواح، وليس مقصوداً من جهة كونه إفساداً لليد، وكذلك الفصد والحجامة وشرب الأدوية المرة البشعة، وكذلك ما يتحمله الناس من المشاق التي هي وسائل المصالح» انتهى.

فقرر رحمه الله تعالى أن الجهاد إنما يتقرب به من جهة كونه وسيلة إلى درء المفاسد وجلب المصالح التي منها إعزاز الدين بالنكاية في المشركين واستعلاء المؤمنين عليهم، وإنقاذ البشرية من الضلال والغواية كما أن قطع اليد المتأكله وسيلة إلى حفظ الأرواح، وليس مقصوداً من جهة كونه إفسادا لليد.

وقال الإمام أحمد: «لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يُغزي معه إنما ذلك في نفسه. ويروي عن النبي ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» المغني ج٨ص٣٥١.

قلت: وقد كان النبي ﷺ وأصحابه في مكة يبتلون بألوان العذاب حتى يُفتنوا عن دينهم ومع ذلك لم يقاتل ﷺ ولم يقاتل أبو بكر رضي الله عنه ولا غيره، مع أنهم أشجع الناس وكانوا مؤيدين من السماء، بل إن الله تعالى أمرهم بضد ذلك بالعفو والصفح والإعراض عن المشركين، بل غضب النبي ﷺ على بعض أصحابه ممن كان في العذاب والابتلاء لما أراد منه الاستنصار والبدء في هذا الأمر مع وجود هذه الحالة من الضعف والقلة، وهو الحال المشابه لكثير ممن يتكلم في هذه المباحث الآن، ومع ذلك فالإصرار قائم على استعجال الثمرة والوثوب والمصادمة للإرادة المطلقة، وما قضى به المولى تعالى في أمثال هذه الحالات والأوضاع التي نعيش فيها ونحياها..

وذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن خباب رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد ـ وهو محمر وجهه ـ فقال: «**قد كان من كان قبلكم ليمتشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل ـ**

زاد: **والذئب على غنمه ـ ولكنكم تستعجلون»**[1]. وأخرجه أيضًا أبو داود والنسائي كما في العيني ج٧ص٥٥٨ والحاكم ج٣ص٣٨٣ بمعناه وانظر حياة الصحابة ج١ص٢١٢.

فبين ﷺ أن الثبات على الدين والإيمان وترك الاستعجال هو أساس التمكين، وهو أمر قدري غيبي يعتمد على وسائل غيبية من الإيمان والأعمال الصالحة، والاستعجال فيه لن يأتي به قبل موعده وتوقيته الذي وقَّته الله تعالى له، فهو لمن شاء الله تعالى في الوقت الذي يشاء: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2].

وهذا من رحمة الله تعالى بالمؤمنين، ومن رفعة وعزة هذا الدين، حيث أن قواعده وأحكامه تدور وفق المقدور من أحوال المكلفين، وهو ما قرره أئمة الإسلام وفقهاء الملة من كون الأمر «**إذا تعذر سقط**» «**وإذا ضاق اتسع**» فما جعل الله تعالى علينا في الدين أو أحكامه أي حرج: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[3].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج٩ ص٢٦ كتاب الإكراه «باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر»، وأبو داود ج٧ حديث٢٦٣٢ كتاب الجهاد «باب في الأسير يكره على الكفر» قال الإمام المنذري وأخرجه البخاري والنسائي، وفي مسند الإمام أحمد ج٥ص١١١، ج٦ ص٣٩٥، وفي المعجم الكبير للطبراني ج٤ ص٧٢، ٧٥، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص٥٩.

(٢) سورة النور: آية ٥٥. (٣) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

سقوط الوسائل
بسقوط المقاصد

حيث إن حسن الوسائل بحسن مقاصدها، فإذا قبحت المقاصد وفسدت، قبحت وفسدت وسائلها، لإن للوسائل حكم المقاصد، ولا يمكن إهمال القصد الذي من أجله شرع الأمر، وإلا لاهتزت الأحكام وبعدت عن غايتها وأهدافها، وإلا لسقطت علل الأحكام بالكلية، ولصرنا بالمغايرة والخلاف للأسس المضيئة التي تأكدت لنا في نصوص القرآن والسنة المشرفة، أن الأمر بهما أمر بما فيه النفع والمصلحة ورفع العنت والمشقة.

بل نص أئمة الفتوى على أن الوسائل تسقط بسقوط مقاصدها تقدما لحقوق العباد على حقوق الرب سبحانه وتعالى، وذلك رفقا بهم في دنياهم وإحسانا عليهم في أحكامه.

وقد أورد سلطان العلماء العز بن عبدالسلام أمثلة لذلك في قواعد الأحكام ص١٧٥ وهو الكتاب الذي لم يُصنف في موضوعه مثله فقال رحمه الله تعالى:

وله أمثلة: منها التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه حفظًا للنفوس والأعضاء ليقوم المكلف بعد ذلك بوظائف الطاعات والعبادات، ومنها ترك الصلاة والصيام وكل حق يجب لله على الفور بالإلجاء والإكراه، ومنها الأعذار المجوزة لقطع الصلوات، ومنها الأعذار المجوزة لترك الجماعات والجُمُعات، ومنها الأعذار المجوزة لترك الجهاد، ومنها الانهزام يوم الزحف وهو جائز إذا أربى عدد الكفرة على عدد الإسلام مع التقارب في الصفات، ومنها وجوب الفرار من الكفار في حق من علم أنه لو ثبت لقتل من غير نكاية في الكفار فإن ثبوته لا جدوى له إلا كسر قلوب المسلمين وشفاء صدور الكافرين. انتهى.

قلت: فما أروع هذا الدين وما أجل أحكامه للمسلمين، لو تعلموها وفقهوها، فانظر كيف قدم الله تعالى حق عباده في حفظ نفوسهم وأعضائهم عند الإكراه بالتلفظ بالكفر على حقه تعالى في ألا يُكفر وأن يعبد ويحمد وينزه سبحانه عن الشريك والضد والظهير والمثيل، فأباح التلفظ عند خوف فوات النفوس وتلف الأعضاء، وحصول الضرر بالمكلَّفين، بأفسد المفاسد وهو الكفر رحمة بعبادة، وتقديما لحقهم على حقه سبحانه..

وأبلغ الأمثلة على هذا من سنة المصطفى ﷺ مع عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ حين أكرهوه على التلفظ بالكفر.

قال ابن جرير حدثنا ابن عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبدالكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**كيف تجد قلبك؟**» قال مطمئنًا بالإيمان قال النبي ﷺ: «**إن عادوا فعد**» ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير قال: «**كيف تجد قلبك؟**» قال مطمئنًا بالإيمان فقال: «**إن عادوا فعد**» وفي ذلك أنزل الله: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[1].

قلت: وانظر إلى قوله رحمه الله تعالى ومنها الأعذار المجوزة لترك الجهاد التي قد تكون في عدم الاستطاعة، أو الضعف، أو القلة المجوزة للانهزام أو الموجبة للفرار من الكفار عند سقوط مقاصد الجهاد

(١) سورة النحل: آية ١٠٦.

في حق من علم أنه لو ثبت لقتل من غير نكاية في الكفار، فإن ثبوته لا جدوى له إلا كسر قلوب المسلمين، وشفاء صدور الكافرين، وهذا بالمخالفة لمقاصد الجهاد؛ حيث أن مقاصده هي ذلة وإرغام الكافرين، ومع استطالة الكفار على المسلمين وقتلهم إياهم لن تتحقق هذه المقاصد، بل قد تكون الذلة في هذه الحالة للمؤمنين، مع عزة واستعلاء الكافرين عليهم بالقتل والأسر وسبي الذرية، المفضي سبيهم إلى مفاسد عظيمة من تعرضهم للكفر، والافتتان بالكفار في ديارهم، كما أنه بالمخالفة أيضًا لمقاصد الجهاد، من كونه مؤديا إلى عكس ما شرع من أجله، وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله كما قال ابن حجر رحمه الله تعالى هي دعوة الله تعالى إلى الإسلام، أي أن تكون هذه الدعوة هي العليا، مع خزي الكافرين بهزيمتهم ونصر المؤمنين عليهم، وأيضًا بالمخالفة لمقاصد الجهاد من كونه شفاءًا لصدور الكافرين بدلا من المؤمنين، وبقاء وزيادة غيظ قلوبهم منهم، مع انتصار الكفار واستطالتهم عليهم، من غير نكاية فيهم، وهذه مفاسد لا مصالح فيها، ولا مقاصد منها، ولا يقدم عليها من له شفقة بالمسلمين ورحمة لهذا الدين، محافظة على بيضة الإسلام وأرواح المؤمنين أن تفوت وتذهب على غير ما شرع لها من مقاصد وغايات، وإرشادًا للمؤمنين أن جهادهم مقفول بأسسه التي قام عليها وشرع من أجلها، فإن تحققت فهو ممدوح محمود وإن سقطت غاياته ومقاصده سقطت وسائله أيضًا، لأن قتالاً كهذا ليس على بابه، وبعيدًا عن مصالحه وأهدافه..

لذلك قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن**

فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله تعالى»[1] فكان الغاية من قتاله ﷺ دعوة الناس إلى الإسلام وهدايتهم، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فكل قتال على هذه الغايات فهو ممدوح وهو مما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وأي قتال تغيب عنه مقاصده التي جعلها النبي ﷺ غاية لقتاله، فالفتنة فيه ومنه، وقد أُمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة لا أن نقاتل لتكون الفتنة، وهذا ما رواه الإمام البيهقي في السنن الكبرى ج٨ ص١٩٢ كتاب قتال أهل البغي «باب النهي عن القتال في الفرقة ومن ترك قتال الفرقة الباغية خوفا من أن يكون قتالا في الفرقة».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج١ ص١٣ كتاب الإيمان «باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»، ج٩ ص١٣٨ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة «باب قول الله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وأن المشاورة قبل العزم والتبين»، وأخرجه الإمام مسلم ج٢ ص٢٩ كتاب الإيمان «باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وفي الترمذي ج٧ أبواب الإيمان «باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، وفي النسائي ج٥ ص١٤ ج٦ ص٤، ٥، ٦، ٧، وفي التمهيد ج٤ ص٢٣١، ٢٤٠، ٢٤١ ج١٠ ص١٥٧، وفي السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣ «باب فضل القبلة وفضل استقبالها» ج٣ ص٩٢ «باب لا يأثم مسلم بكافر» ص٣٦٧ كتاب صلاة الاستسقاء «باب ما يستدل به على أن المراد بهذا الكفر كفر يباح به دمه لا كفر يخرج به عن الإيمان بالله ورسوله إذا لم يجحد وجوب الصلاة»، ج٧ ص٤ باب كتاب الصدقات «باب لا يسع الولاة تركه لأهل الأموال»، وفي الأذكار للإمام النووي ص٣٦٤، وفي المعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٣٤٧، وفي إتحاف السادة المتقين ج١ ص١٣٧، ١٥٥، وفي حلية الأولياء ص١٥٩.

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا جاءه فقال يا أبا عبدالرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ فما يمنعك أن تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي اعبر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن اعبر بالآية التي قال الله عز وجل قبلها: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾ الآية. قال: فإن الله قال: ﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ قال ابن عمر: قد فعلناه على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن عن دينه إما أن يقتلوه أو يوثقوه حتى ظهر الإسلام ولم تكن فتنة. لما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان رضي الله عنهما فقال: ابن عمر: أما عثمان فقد عفا الله عنه فكرهتم أن تعفوا عنه وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون» رواه البخاري في الصحيح.

وأورد الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في نفس الباب قول ابن عمر رضي الله عنهما «والله ما كنت لأعطي بيعتي في فرقة ولا أمنعها من جماعة».

وأورد رضي الله عنه أيضا في نفس الباب قول أبي برزة رضي الله عنه: «أني لا أرى خير الناس اليوم إلا عصابة ملبدة وقال بيده خماص البطون من أموال الناس خفاف الظهور من دمائهم» ـ أخرجه البخاري في الصحيح.

وأورد الإمام البيهقي رضي الله عنه في نفس الباب أيضا بسنده عن قيس ابن أبي حازم وعامر الشعبي قالا قال مروان بن الحكم لأيمن بن خريم ألا تخرج فتقاتل معنا فقال: إن أبي وعمي شهدا بدرا وإنهما عهدا إلى أن لا أقاتل أحداً يقول لا إله إلا الله فإن أنت جئتني ببراءة

من النار قاتلت معك قال فاخرج عنا قال فخرج وهو يقول:

ولست بقاتل رجلا يصلي ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلي إثمي ... معاذ الله من جهل وطيش
أأقتل مسلما في غير جرم ... فليس بنافعي ما عشت عيشي

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن برحمتك يا أرحم الراحمين.

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه في فتح خيبر لما سأله: «**أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا: فقال ﷺ: انفذ على رسلك ولكن ادعهم؛ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم**».

فكان الأمر الذي من أجله تخرج السرايا، وينصب القتال، هو دعوة الناس وهدايتهم، وعلى هذا كان حرص النبي ﷺ، وهذه كانت وصاياه لسراياه التي يرسلها ويبعثها بين يديه.

وقد بوّب الإمام النووي على هذا الحديث بترجمة حافلة تبين مقاصد الجهاد وغايته بقوله باب: «الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة» وكأن جهاد النبي ﷺ وأصحابه كان في ذاته دلالة على الخير، ودعاءً إلى الهدى، ودفعا للضلالة...

ثم أورد الآيات المعبرة عن مقاصد الجهاد، أمثال قوله تعالى: ﴿**وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾.

وهذه المقاصد نفسها هي التي عبر عنها الصحابي الجليل ربعي بن عامر - رضي الله عنه - لما خاطب رستم قائد الفرس عندما سأله: ما الذي دعاكم لحربنا. فقال رضي الله عنه: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»[1] انتهى.

فمع أن كل أسباب النصرة الظاهرة غير موجودة وغير محققة مع هذا الصحابي الجليل..... فحصانه هزيل كذلك الفرس والسيف، إلا أن حقيقة العزة تأتي بالتصديق والإيمان بالغيب الموعود من الله تعالى ومن نبيه ﷺ وأن خالف المشاهد المحسوس.

فكان الغاية من قتالهم إخراج العباد من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده، وانتشار عدل الإسلام، والأخذ بأيدي الناس من ضيق الدنيا وكدرها، إلى سعة الآخرة ونعيمها....

والنبي ﷺ بين أن هذه الأمة مبعوثة، وهذا من مقاصد وجودها «إنما بعثتم ميسرين»، وكذلك قال هذا الصحابي رضي الله عنه «إن الله ابتعثنا»، وبذلك كان الأجتباء من الله تعالى ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرِ﴾[2].

ولاشك أن عدم اعتبار المقصد مؤثر في سقوط الوسيلة وأجرها.

---

(١) أورده ابن كثير في البداية ج٧ ص٣٨، والإمام الطبري ج٤ ص١٠٥.

(٢) سورة الحج: آية ٧٨.

قال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام في القواعد ج١ ص١٢٥:

«ولاشك بأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد فمن فاتته الجُمُعات والجماعات أو الغزوات سقط عنه السعي إليها،لإنه استفاد الوجوب من وجوبهن، وكذلك تسقط وسائل المندوبات بسقوطهن لأنها استفادت الندب منهن».انتهى.

قلت: كذلك تتأثر وسيلة القتال وفضلها بغياب مقصدها فقد تُرَدُّ في بعض الأحيان فليس كل قتال جهاد، فالجهاد والقتال محمود إذا كان على بابه ومقاصده، وإلا فالذم لاحق لأوله وآخره، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1] متفق عليه.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ج١ ص٤٣ كتاب العلم «باب من سئل وهو قائم عالما جالسا»، ج٤ ص٢٥ كتاب الجهاد والسير «من قاتل حتى تكون كلمة الله هي العليا» ص١٠٥ «باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره»، وأخرجه الإمام مسلم في الإمارة «باب من قاتل الله لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، وفي الترمذي ج٤ ص٢٣ كتاب فضائل الجهاد «باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا»، وأبو داود في الجهاد «باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»، وفي النسائي ج٣ ص١٦ كتاب الجهاد، وفي مسند الإمام أحمد ج٤ ص٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٧، وفي السنن الكبرى للإمام البيهقي ج٩ ص١٦٧ «باب بيان النية التي يقاتل عليها ليكون في سبيل الله عز وجل»، وفي الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٩٦ الترغيب في إخلاص النية في الجهاد، وفي كنز العمال كتاب الجهاد ١٠٤٩٣، وفي مشكاة المصابيح كتاب الجهاد ٣٨١٤، وفي الدر المنثور ج٣ ص٢٤٦، وفي إتحاف السادة المتقين ج٩ ص٢٤٢، وفي حلية الأولياء ج٧ ص١٢٨.

فردَّ النبي ﷺ هذه الأنواع من القتال لأنها ليست على مقاصد الجهاد، فهذا الذي يقاتل شجاعة وذلك الذي يقاتل رياءً للناس حتى يُرى مكانه، كل ذلك ما قبله النبي ﷺ حتى يكون القتال وفق مقاصده المحمودة والمشروع من أجلها، وهي أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي دعوة الله إلى الإسلام، أي حتى تكون الدعوة إلى الإسلام هي الأعلى في الأرض، ودين الإسلام هو الأعلى، ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه عن النبي ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**»(١) {الحديث رواه مسلم في الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حالة وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة}.

وقوله ﷺ: «**تحت رايه عمية**» قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: الأمر الأعمى كالعصبية لا يستبين ما وجهه.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الإمارة ج٢ ص١٣٥ «باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الداع إلى الكفر»، وفي النسائي ج٧ ص١٢٣، وفي مسند الإمام أحمد ج٢ ص٢٩٦، وفي السنن الكبرى للإمام البيهقي ج٨ ص١٥٦ كتاب أهل البغي «باب الترغيب في لزوم الجماعة والتشديد على من نزع يده من الطاعة» ج١٠ ص٢٣٤ كتاب الشهادات «باب شهادة أهل المعصية»، وفي مشكاة المصابيح كتاب الإمارة والقضاء ٣٦٦٩، وفي إتحاف السادة المتقين ج٦ ص١٢٢، وفي كنز العمال ١٤٨٠٩ «في طاعة الأمير والترهيب عن البغي ومخالفة».

وأورد سلطان العلماء العز بن عبدالسلام في القواعد ج١ص١٢١ مثالا آخر على سقوط الوسائل بسقوط المقاصد فقال:

المثال الرابع: ضرب الصبيان على ترك الصلاة والصيام، وغير ذلك من المصالح.

فإن قيل: إذا كان الصبي لا يصلحه إلا الضرب المبرح فهل يجوز ضربه تحصيلاً لمصلحة تأديبه؟ قلنا لا يجوز ذلك، بل يجوز أن يضربه ضربًا غير مبرح؛ لأن الضرب الذي لا يبرح مفسدة، وإنما جاز لكونه وسيلة إلى مصلحة التأديب، فإذا لم يحصل التأديب سقط الضرب الخفيف، كما يسقط الضرب الشديد؛ لأنّ الوسائل تسقط بسقوط المقاصد.

وأورد سلطان العلماء العز بن عبدالسلام في القواعد ج١ص١٢٨ مثالا آخر على سقوط الوسائل بسقوط المقاصد فقال:

فإن علم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن أمره ونهيه لا يجديان ولا يفيدان شيئًا، أو غلب على ظنه، سقط الوجوب لأنه وسيلة ويبقى الاستحباب، والوسائل تسقط بسقوط المقاصد، وقد كان صلى ﷺ يدخل إلى المسجد الحرام وفيه الأنصاب والأوثان ولم يكن ينكر ذلك كلما رآه، وكذلك لم يكن كلما رأى المشركين ينكر عليهم، وكذلك كان السلف لا ينكرون على الفسقة والظلمة فسوقهم وظلمهم وفجورهم، كلما رأوهم، مع علمهم أنه لا يجدى إنكارهم، وقد يكون من الفسقة من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد فسوقًا إلى فسوقه، وفجوراً إلى فجوره.انتهى.

قلت: فلابد في كل قتال أن يكون على بصيرة لائحة أهدافه، وأن تكون غـاياته وفق ما شـرع الله تعـالى لأنه وسيلة إلى مـقصـود، لا أن تكون بالمصادمـة والمخالفة لبديهيـاته وأسسه ومقاصـده التي من أجلِّها أن يُعبد الله تعالى في الأرض، وأن تـكون دعوة الله تعالى إلى الإسلام هي العليـا، وذلة وإرغام الكافـرين، وعـزة واستـعلاء المؤمنين، وبهـذا يكون ذروة سنام الإسلام وأفـضل الأعمـال التي هي وسائل كمـا قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

اللهم أحي فينا جهاد الدعوة الذي هو أساس كل
قتال وجهاد كان على عهد النبي صلى الله عليه
وسلم واجعلنا من جندك فإن جندك هم الغالبون
واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم المفلحون
واجعلنا من أوليائك فإن أوليائك لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون،
وارفع راية الجهاد الحقيقي المضيئة،
التي أخرجت الناس
من الظلمات إلى النور،
لنكون خير أمة أخرجت للناس، وخير خلف
لأعظم سلف عرفته الدنيا.

واغفر لآبائنا وأمهاتنا وعلمائنا ومشايخنا ومن

له حق لازم علينا، وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء

منهم والأموات

إنك سبحانك قريب مجيب

الدعوات

وتوفنا على الإسلام وسنة النبي

المصطفى العدنان

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملحق لفتاوى ورسائل كبار العلماء في العالم الإسلامي في أهل التبليغ والدعوة

خطاب من الشيخ إبراهيم عبدالرحمن الحصين بالمدينة المنورة إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله المؤرخ ٢٧/ ١/ ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على أمور الدّنيا والدّين.

حضرة صاحب السّماحة شيخنا الجليل الشّيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ثبته الله في الحياة الدنيا والآخرة وجعله ممن أيد الحق وناصره، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد:

فقد إطلعنا على رسالة من سلفكم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية سابقًا رحمه الله رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جناته، موجهة منه إلى علماء الأحساء والمقاطعة الشرقية أرسلها إليهم مع رئيس جماعة التبليغ في المدينة وجماعة من المرافقين له أوصاهم فيها بهم خيرا، وذكر «أن مهمّتهم العظة في المساجد والإرشاد والحثّ على العمل بالكتاب والسنّة مع التحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذلك من البدع والمنكرات» ثم قال رحمه الله «كتبت عنهم بذلك طلبًا لمساعدتهم من إخوانهم بالتمكين لهم من ذلك سائلا الله تعالى إن يرزقهم حسن النّية والتوفيق للنطق بالحقّ والسّلامة من الزلل وأن ينفع بإرشادهم وبيانهم، إنه على كل شيء قدير»انتهى.

كما إطلعنا على رسائل كثيرة من سماحتكم نهجتم فيها أثابكم الله منهجه من تأييد الجماعة المذكورة والتنويه بفضلهم وجهودهم وتحمّلهم المشاق في سبيل الدعوة إلى الله إحتسابا وما هدى الله بسببهم من منحرف، وأسلم على أيديهم من كافر مع الإهابة بمشاركتهم في الخروج معهم للدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولاسيما طلبة العلم لأن في مشاركتهم لهم من الخير مالا يعلمه إلا الله، كما اطلعنا على رسائل من ولاة الأمور يؤيدونهم فيها جزاهم الله عن نصرتهم لهم أفضل ما يجزى به محسنا عن احسانه. فأولها من جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وأكرم مثواه، وآخرها موجهة لكم من جلالة الملك فهد حفظه الله قال فيها عن الجماعة المذكورة؛ «إنها ليس لها أهدافا سياسية أو

مطمع مادي وإنما تمول نفسها بنفسها في سبيل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسافر منها أناس إلى كافة أقطار الدنيا لإرشاد الناس، وكل شخص يهديه الله على أيديهم يطلبون منه أن يكون داعيه» ثم حض حفظه الله على مساعدتهم، كما اطلعنا على كتابات كثيرة من علماء محققين متضلّعين في علوم التّوحيد وعقيدتهم فيه راسخة بحمد الله من المدرّسين بالجامعة الإسلامية بالمدينة وغيرهم من العلماء داخل المملكة وخارجها يثنون عليهم فيها، وينوهون بفضلهم، ويشيدون بما رأوا لهم من الآثار الحسنة العجيبة، حيث أنهم صاحبوهم في الحضر والسفر، بل أن المخالفين لهم في بعض الآراء يعترفون بفضائلهم وتأثيرهم على المنحرفين حتى يهديهم الله على أيديهم، فقد قال: محمد أسلم غفر الله لنا وله في رسالته المشهورة لما ذكر طرفًا صالحًا من فضائلهم «أنه لم يعرف الإسلام إلا عن طريقهم». وفي هذه الأيام لعب الشيطان والهوى ببعض الأفراد في المدينة هداهم الله فشنّوا الغارة عليهم وصرفوا جهودهم وأوقاتهم في مشاغبتهم وسبّهم والتحذير منهم، والتشويش عليهم حتى بلغنا أنهم إتصلوا ببعض شباب هداهم الله على أيدي الجماعة وصاروا يحافظون على الصلوات ويتمسّكون بالسنن. فقالوا لهم: إن بقائكم على حالكم السابقة من الفجور خير لكم من تأثركم بهذه الجماعة، فانتكس بعضهم بسببهم والعياذ بالله.

وقد أرجف بعضهم في المدينة هذه الأيام بأن سماحتكم قد رجع عن رأيه السابق فيهم، لما سبّوهم عندكم، فلم نصدّق ذلك لكثرة ما قرأنا وسمعنا منكم مما ذكرنا سابقًا.

ولما منحكم الله ومنّ به عليكم من البصيرة النّافذة وبعد النّظر وسعة الإطلاع والتأني والحكمة، والحرص على تحصيل المصالح ودفع المضار، لهذا كله فإنا نستبعد ما نسبوا إليكم وأشاعوا عنكم فنرجوا الافادة عن رأيكم فيهم حتى يكون الناس على بصيرة بهم، أثابكم الله وقطع بكم دابر الفتنة والفساد إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
أبناؤك من طلبة العلم بالمدينة
عنهم إبراهيم عبدالرحمن الحصين

خطاب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تعالى إلى الشيخ/ إبراهيم عبدالرحمن الحصين حفظه الله تعالى بالمدينة المنورة

المؤرخ ٢٧/ ١/ ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: وبعد:

فأخبركم أني لازلت على رأيي في الجماعة المذكورة فيما كتبته عنهم قديمًا وحديثًا من الكتابات الكثيرة وما كتبه سلفي شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه وما كتبه غيرنا من العلماء. وأيدهّ جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وجلالة الملك فهد وفقه الله فيما كتبه إليّ، لأنهم قد نفع الله بهم نفعًا كبيرًا وهدى بهم جمًا غفيرًا فالواجب شكرهم على عملهم وتشجيعهم وتنبيههم على ما قد يخفى عليهم، وذلك من باب التّعاون على البرّ والتقوى والتناصح بين المسلمين إلا أني أنصحهم وجميع المسلمين لاسيما الشباب أن لا يسافر منهم إلى بلاد الكفار إلا أهل العلم والبصيرة، لما في ذلك من الخطر العظيم على كل من ليس له علم الشريعة الإسلامية والعقيدة الصحيحة التي بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم ودرج عليها سلف الأمة، أما ما نسبه المعارضون لهم عنّي من الرجوع عن رأيي فيهم فهو كذب عليّ، بل أني نصحتهم ووبّختهم على عملهم وقلت لهم فيما قلت متمثلاً بقول الشاعر:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من اللوم   أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وحرضتهم على كثرة الإجتماع بهم والخروج معهم، وأوضحت لهم ما فيه من الفوائد، وطلبت منهم أن يتهموا الرأي وينظروا في العواقب، وبيّنت لهم ما في إنشقاقهم وخلافهم من الشّر العظيم وسوء العواقب في الدّنيا والآخرة، وأن ذلك من الشيطان، أعاذنا الله منه ليصرف الناس عن الدعوة إلى الله ويشغلهم عنها بفساد ذات البين وكثرة القيل والقال.

هذا ما أدين الله به واعتقده وأسأل الله أن يرينا الحق حقا ويمنحنا الثبات عليه والباطل باطلا ويمنّ علينا بإجتنابه ولا يجعله ملتبسا علينا فنضلّ، إنه وليي في ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

٢٧/ ١/ ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على أمور الدنيا والدين

حضرة صاحب السماحة شيخنا الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ثبته الله وأمده بالتوفيق وجعله من أيدي الحق وناصريه، آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد فقد اطلعنا على رسالة من سلفكم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية سابقا رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته موجهة منه إلى علماء الأحساء والمقاطعة الشرقية أرسلها إليهم مع رئيس جماعة التبليغ في المدينة وجماعة من المرافقين له أوصاهم فيها بهم خيرا، وذكر أن مهمتهم الوعظ في المساجد والإرشاد والحث على العمل بالكتاب والسنة والتحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذلك من البدع والمنكرات ثم قال رحمه الله كتبت لهم بذلك طلبا لمساعدتهم من إخوانهم المخلصين لهم من ذلك سائلا الله تعالى أن يرزقهم حسن النية والتوفيق للحق بعون والسلامة من الزلل وأن ينفع بإرشادهم وبعلمهم إنه على كل شيء قدير. انتهى. كما اطلعنا على رسائل كثيرة من سماحتكم نهجتم فيها نهجه من تأييد الجماعة المذكورة والتنويه بفضلهم وجهودهم وتحملهم الشاق في سبيل الدعوة إلى الله احتسابا وما أجرى الله بسببهم من [illegible] قد أسلم على أيديهم [illegible] الإجابة بمشاركتهم في الخروج معهم للدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة ولا سيما طلبة العلم لأن في مشاركتهم لهم من الخير ما لا يعلمه إلا الله. كما اطلعنا على رسائل من ولاة الأمور [illegible] فيها [illegible] جزاهم الله عن نصحهم أفضل ما يجزي به محسنا عن إحسانه فأولهما من جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حرسه الله وأكرم مثواه والآخر [illegible] جلالة الملك [illegible] حفظه الله [illegible] قال فيها عن جماعة الدعوة: إنها ليس لها أهداف سياسية أو مطمع مادي وإنما تحول نفسها بنفسها إلى سبيل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة [illegible] منها أناس إلى كافة أقطار الدنيا لإرشاد الناس وكل شخص يهتدي به الله على أيديهم يطلبون منه أن يكون داعية [illegible] كما اطلعنا على كتابات كثيرة من علماء محققين متضلعين في علوم التوحيد والعقيدة [illegible] بالإسلام [illegible] وغيرهم من العلماء داخل المملكة وخارجها يثنون عليهم [illegible] وينوهون بفضلهم ويشيدون بما رأوا لهم من الآثار الحسنة العجيبة حيث إنهم [illegible] بل إن [illegible] يعترفون بفضائلهم وتأثيرهم على [illegible] حتى يهدي الله على أيديهم [illegible] رسالة [illegible] ما ذكر لما [illegible] أنه لم يعرف الإسلام الأعلى طريقهم.

[illegible] الشيطان [illegible] ببعض الأفراد [illegible] فشنوا الغارة عليهم وصرفوا جهودهم وأوقاتهم في مشاغبتهم [illegible] والتحذير عنهم والتشويش عليهم حتى بلغنا أنهم اتصلوا ببعض شباب [illegible] وصاروا [illegible] متمسكون بالسنن [illegible] العياذ بالله [illegible] فقالوا لهم إن [illegible] سماحتكم [illegible] من [illegible] تأثير [illegible] فانتكس بعضهم [illegible] وقد رجع بعضهم في المدينة هذه الأيام بأن سماحتكم قد رجع عن رأيه السابق فيهم لما سمعوه [illegible] ما ذكرنا سابقا وما [illegible] به عليكم من البصيرة النافذة وبعد النظر وسعة الاطلاع والتأني والحكمة والحرص على تحصيل المصالح ودفع المضار، [illegible] فإنا نستبعد ما نسبوا إليكم وأشاعوا عنكم فنرجو الإفادة عن رأيكم [illegible] حتى يكون الناس على بصيرة [illegible] [illegible] وقطع بكم دابر الفتنة والفساد إنه سميع قريب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. [illegible] من طلبة العلم بالمدينة [illegible] إبراهيم [illegible] عبد الرحمن الحصين.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . أما بعد . . فأخبركم أني لا زلت على رأيي في الجماعة المذكورة مما كتبته عنهم قديما وحديثا من الكتابات الكثيرة وما كتبه شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه وما كتبه غيرنا من العلماء وأئمة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وجلالة الملك فهد وفقه الله مما كتبه إلي لأنهم قد نفع الله بهم نفعا كبيرا وحصل بسببهم خير كثير فالواجب شكرهم على عملهم وتشجيعهم وتشجيعهم على ما قد يخفى عليهم وذلك من باب التعاون على البر والتقوى والتناصح بين المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible]

وس تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٢٧ / ١ / ١٤٠٧هـ

صورة خطاب من الشيخ إبراهيم عبد الرحمن الحصين إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله.

صورة خطاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله إلى الشيخ إبراهيم عبد الرحمن الحصين حفظه الله.

تقرير عن اجتماع أهل الدعوة في الباكستان

كتبه الشيخ صالح بن علي الشويمان حفظه الله تعالى المؤرخ ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الوالد الكريم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. حفظه اللهْ من كل سوء ووفقه وسدد خطاه آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد بدأت اجازتي في ١٤٠٧/٣/١ هـ وسافرت إلى باكستان في ١٤٠٧/٣/٣هـ مع مجموعة من العلماء وطلاب العلم من مختلف الجامعات، من الجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود وغيرها، فشاهدنا العجب العجاب، فبعد وصولنا مطار لاهور إستقبلنا جماعة من الشباب الصالحين الذين يشرق نور العلم والإيمان من لحاهم ووجوههم واتجهنا إلى مسجد المطار فأدينا فيه السنّة ثم جلسنا حول بعضنا ونحن من بلاد مختلفة، فقام واحد منهم يتكلم بكلام عجيب يأخذ بمجامع القلوب، ثم جاءت السيارات ونقلتنا إلى مقرّ الإجتماع في رائيوند. ذلك الإجتماع الجميل الذي تخشع بسببه القلوب وتذرف منه العيون وابل، دموع الفزع والسرور والخوف من الله، يشبه إجتماع أهل الجنة، لا صخب ولا نصب، ولا لغو ولا فوضى ولا كذب، نظيف جداً لا روائح ولا اوساخ، ومرتب ترتيب دقيق، فلا مرور ولا شرطة ولا نجدة ولا حراس، مع العلم أنه يفوق المليون، حياة طبيعية فطرية يحوطها ذكر الله، علم ومحاضرات، ودروس وحلق ذكر ليلا ونهارا، فوالله إنه إجتماع تحيي به القلوب وينصقل به الإيمان ويزداد، فما أروعه وما أجمله يعطيك صورة ناطقة عن حياة الصحابة والتّابعين واتباعهم رضوان الله عليهم، جهد وعلم وذكر، كلام جميل، أفعال جميله، حركات إسلامية رائعة، ووجوه مشرقة بنور الإيمان والعلم، فلا تسمع إلا كلام التّوحيد والذكر، والتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير وقراءة القرآن، والسّلام، وعليكم السّلام ورحمة الله، وجزاكم الله خيرا، ولا ترى إلا ما يسرّك ويبهج قلبك من إحياء سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم طرية تتمتع بها في كل لحظة ما أجمله وما أحلاه من إجتماع إسلامي عظيم، وبالجملة تطبيق عملي لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فيالها من حياة طيبة سعيدة كم تمنّيت من قلبي أن يكون هذا الإجتماع في ربوع المملكة العربية السعودية، لأنها جديرة بكل خير، ولأنها سبّاقة إلى كلّ خير منذ فجر عهد الملك عبدالعزيز المشرق غفر الله له وقدّس روحه في جنّات النعيم وجمعنا وإياكم به في الفردوس الأعلى وافراد هذا الإجتماع أشخاص من جميع جهات العالم على شكل واحد وطبع واحد وكلام واحد وهدف واحد وكأنهم أبناء رجل واحد أو كان الله سبحانه خلق قلبًا واحداً فوزعه على هؤلاء.

ليس لهم مطامع ولا مآرب غير التمسّك بأهداب الدّين وإصلاح شباب المسلمين وهداية غير المسلمين إلى صراط الله الحميد. فكيف يجرؤ المرجفون على النيل من هؤلاء الصالحين؟

وقد قال فيهم الشيخ عبدالمجيد الزنداني: (هؤلاء أهل السماء يمشون على الأرض)

فأي قلب يجترئ على سبهم أو إتهامهم بما ليس فيهم.

أنني أزعم أن هدف هذه الجماعة هو هدف حكومة المملكة العربية السعودية، وهو إصلاح النّاس في جميع العالم ونشر الأمن والأمان في جميع المعمورة. فأي مدخل على هؤلاء الجماعة؟ وإذا إنتهت المحاضرات بعد العشاء وسرحت طرفك يمنة ويسرة رأيتهم ورودا علمية تتفكه فيها حيثما شئت فأي حلقة تجلس فيها لابدّ أن تخرج منها بفائدة.

وإذا هدأت الرجل ونامت العين رأيتهم كالأعمدة يصلّون قبل النوم. فإذا كان آخر الليل سمعتهم وكأنهم خلية نحل بكاء، ونحيب وإبتهال إلى الله بأن يغفر الله ذنوبهم وذنوب المسلمين وان ينجيهم الله وإخوانهم المسلمين من النار، وأن يهدي الناس جميعا إلى إحياء سنة المصطفى ﷺ. وقصارى القول أنه إجتماع جدير بأن يحضره كل عالم وكل طالب علم، بل وكل مسلم يخاف الله ويرجو الدّار الآخرة. فجزاء الله القائمين عليه خير الجزاء وثبتهم وأعانهم ونفع بهم المسلمين إنه سميع مجيب.

أما القائمون على الخدمة فكلّهم من حفظة القرآن الكريم، فصاحب المطحنة يطحن بإسم الله وبالتكبير والتسبيح وصاحب المعجنة يعجن بإسم الله، والله أكبر وسبحان الله والحمد لله، والخبّازين يخبزون بإسم الله، والله أكبر وبالتسبيح والتحميد والتكبير أيضا، وقد شاهدناهم وسمعناهم وهم لا يشعرون فسبحان من فتح بصائرهم ووفقهم لذكره، ودلّهم على الطريق الصحيح الذي يتمناه كل مسلم.

والحقيقة يا سماحة الشيخ أن كل من صحبهم لابد أن يكون داعية إلى الله بالتّمرين، وطول الصحبة، فياليتني عرفتهم منذ أن كنت طالبا في الجامعة لكنت اليوم علامة في الدعوة وسائر العلوم. وهذا ! والله ما أدين الله به، وسيسألني الجبّار سبحانه عن ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا يغني أحد عن أحد، وياليت جميع الدّعاة التّابعين لرئاستكم المباركة يشتركون في هذا الإجتماع ويخرجون مع هذه الجماعة ليتعلّموا الإخلاص وأسلوب الدّعوة، وأخلاق الصحابة والتّابعين وإتباعهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وختاما أسأل الله سبحانه أن يرينا الحق حقا ويرزقنا إتباعه، وأن يلهمنا رشدنا ويوفقنا للإخلاص والصواب وأن يكفينا شرور أنفسنا والهوى والشيطان وأن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يعزّ حكومتنا بالإسلام ويعزّ الإسلام بها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كاتبه ابنكم صالح بن علي الشويمان مندوب الدعوة والإرشاد بمنطقة عنيزة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم : ____________
التاريخ : ____________
المرفقات : ____________

الموضوع : تقرير عن اجتماع أهل الدعوة في باكستان

سماحة الوالد الكريم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد حفظه الله من كل سوء وبلله وسدد خطاه آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد بدأت إجازتي في ١٤٠٧/٣/١ هـ وسافرت إلى باكستان في ١٤٠٧/٣/٣ هـ مع مجموعة من العلماء وطلاب العلم من مختلف الجامعات ، من الجامعة الإسلامية ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة الملك سعود وغيرها فشاهدنا العجب العجاب. فبعد وصولنا مطار لاهور استقبلنا جماعة من الشباب الصالحين الذين يشرق نور العلم والايمان من لحاهم ووجوههم واتجهنا الى مسجد المطار فأدينا فيه السنة ثم جلسنا حول بعضنا ونحن من بلاد مختلفة فقام واحد منهم يتكلم بكلام عجيب يأخذ بمجامع القلوب . ثم جاءت السيارات ونقلتنا إلى مقر الإجتماع في رايوند . ذلك الإجتماع الجميل الذي تخشع بسببه القلوب وتذرف منه العيون وابل ، دموع الفزع والسرور والخوف من الله . يشبه إجتماع أهل الجنة . لا صخب ولا نصب ولا لغو ولا فوضى ولا كذب . نظيف جدا لا روائح ولا أوساخ . ومرتب ترتيب دقيق . فلا جنود ولا شرطة ولا نجدة ولا حراس مع العلم أنه يفوق المليون . حياة طبيعية فطرية يحوطها ذكر الله . علم ومحاضرات ، ودروس وحلق ذكر ليلا ونهارا . فوالله إنه إجتماع تحيى به القلوب ويتصل به الإيمان ويزداد . فما أروعه وما أجمله يعطيك صورة ناطقة من حياة الصحابة والتابعين وأتباعهم رضوان الله عليهم . جهد وعلم وذكر ، كلام جميل ، أعمال جميلة ، حركات إسلامية رائعة ووجوه مشرقة بنور الإيمان والعلم . فلا تسمع إلا كلام التوحيد والذكر ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل والتكبير وقراءة القرآن ، والسلام ، وعليكم السلام ورحمة الله ، وجزاكم الله خيرا . ولا ترى إلا ما يسرك ويبهج قلبك من إحياء سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم طرية تتمتع بها في كل لحظة . ما أجمله وما أحلاه من اجتماع إسلامي عظيم . وبالجملة تطبيق عملي لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فيالها من حياة طيبة سعيدة . كم تمنيت من قلبي أن يكون هذا الاجتماع في ربوع المملكة العربية السعودية . لأنها جديرة بكل خير ، ولأنها سباقة إلى كل خير منذ فجر عهد الملك عبد العزيز المشرق غفرالله له وقدس روحه في جنات النعيم وجمعنا وإياكم به في الفردوس الأعلى. وأفراد هذا الإجتماع أشخاص من جميع جهات العالم على شكل واحد وطبع واحد وكلام واحد وهدف واحد وكأنهم أبناء رجل واحد أو كأن الله سبحانه خلق قلبا واحدا فوزعه على هؤلاء . ليس لهم مطامع ولا مآرب غير التمسك بآداب الدين وإصلاح شباب المسلمين وهداية غير المسلمين إلى صراط الله الحميد . فكيف يجرؤ المرجفون على النيل من هؤلاء الصالحين . وقد قال فيهم الشيخ عبد المجيد الزنداني : (هؤلاء أهل السماء يمشون على الأرض) فأي قلب يجترئ على سبهم أو اتهامهم بما ليس فيهم .

إنني أزعم أن هدف هذه الجماعة هو هدف حكومة المملكة العربية السعودية ، وهو إصلاح الناس في جميع العالم ونشر الأمن والأمان في جميع المعمورة . فأي مدخل على هؤلاء الجماعة؟

وإذا انتهت المحاضرات بعد العشاء وسرحت طرفك يمنة ويسرة رأيتهم ورودا علمية تتفكه فيها حيثما شئت فأي حلقة تجلس فيها لا بد أن تخرج منها بفائدة .

يتبع (٢)

صورة تقرير عن إجتماع أهل الدعوة فى الباكستان كتبه الشيخ صالح بن على الشويمان .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم : ____________
التاريخ : ____________
المرفقات : ____________

الموضوع : ____________

- ٢ -

وإذا هدأت الرجل ونامت العين رأيتهم كالأعمدة يصلون قبل النوم . فإذا كان آخر الليل سمعتهم خلية نحل بكاء ونحيب وابتهال إلى الله بأن يغفر الله ذنوبهم وذنوب المسلمين وأن ينجيهم الله وإخو المسلمين من النار ، وأن يهدى الناس جميعا إلى إحياء سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقصارى القول أنه إجتماع جدير بأن يحضره كل عالم وكل طالب علم ، بل وكل مسلم يخاف الله ويرجو الآخرة . فجزا الله القائمين عليه خير الجزاء وثبتهم وأعانهم ونفع بهم المسلمين إنه سميع مجيب . أما العا على الخدمة فكلهم من حفظة القرآن الكريم ، فصاحب الطاحنة يطحن باسم الله وبالتكبير والتسبيح . وصا العجنة يعجن باسم الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله . والخبازين يخبزون باسم الله وبذكر اللـ وبالتسبيح والتحميد والتكبير أيضا وقد شاهدناهم وسمعناهم وهم لا يشعرون . فسبحان من فتح بصائر ووفقهم لذكره ، ودلهم على الطريق الصحيح الذى يتمناه كل مسلم .

والحقيقة يا سماحة الشيخ أن كل من صحبهم لابد أن يكون داعية إلى الله بالتمرين وطول الصحبة فيا ل عرفتهم منذ أن كنت طالبا فى الجامعة لكنت اليوم علامة فى الدعوة وسائر العلوم وهذا والله ما أدين الله بـ وسيسألني الجبار سبحانه من ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا يغني أحد عن أحد . وياليت جميع الدعـ التابعين لرئاستكم المباركة يشتركون فى هذا الاجتماع ويخرجون مع هذه الجماعة ليتعلموا الاخلاص وأسـ الدعوة ، وأخلاق الصحابة والتابعين وأتباعهم رضوان الله عليهم أجمعين .

وختاما أسأل الله سبحانه أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، وأن يلهمنا رشدنا ويرزقنا الإخلاص في ال وأن يكفينا شرور أنفسنا والهوى والشيطان وأن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يعز حكومتنا بالاسلام ويعـ الإسلام بها إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

كاتبه ابنكم

صالح بن علي الشويمان

مندوب الدعوة والارشاد بمنطقة عنيزة



صورة تقرير عن إجتماع أهل الدعوة فى الباكستان كتبه الشيخ صالح بن على الشويمان .

خطاب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله إلى فضيلة الشيخ صالح بن علي الشويمان حفظه الله بالمدينة المنورة برقم ١٠٠٧/خ المؤرخ ١٤٠٧/٨/١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الإبن المكرم فضيلة الشيخ صالح بن علي الشويمان. جعله الله مباركا أينما كان آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أمّا بعد:

فقد اطلعت على التّقرير المقدّم إلينا منكم حين سافرتم مع جملة من العلماء وطلبة العلم من الجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الملك سعود وغيرها لحضور الإجتماع الذي عقدته جماعة التبليغ في رائيوند في شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ، فرأيت تقريرًا وافيًا شافيًا قد وصف المؤتمر المذكور وصفا دقيقًا شيقًا وأعطى الحقيقة كأن القارى حاضر في المؤتمر، ولقد سرني كثيرًا ما ذكرتم مما حصل من الفوائد الكبيرة للجميع وتبادل النصح فيما بين الحاضرين فجزاهم الله خيرًا، وأكثر من هذه الإجتماعات ونفع بها المسلمين.

ولاشك أن الناس في حاجة شديدة إلى مثل هذه اللقاءات الطيّبة المحتوية على التّذكير بالله والدّعوة إلى التمسك بالإسلام وتطبيق تعاليمه وتجريد التوحيد عن البدع والخرافات، وأسأل الله أن يوفق المسلمين حكاما ومحكومين للقيام بذلك على أكمل وجه أنه جواد كريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

صورة مع التحية ومع صورة من التقرير لفضيلة مدير إدارة الدعوة في الداخل ودول الجزيرة العربية والخارج للإطلاع، مع صورة من التقرير لمكتبنا ملف جماعة التبليغ، لمكتب البيت ملف جماعة التبيلغ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم ١٠٠٧ /خ
التاريخ ١٧ / ٨ / ١٤٠٧
المرفقات ....

الموضوع ....

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الابن المكرم فضيلة الشيخ صالح بن علي الشويمان جعله الله مباركاً أينما كان آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فقد اطلعت على التقرير المقدم إلينا منكم حين سافرتم مع جملة من العلماء وطلبة العلم من الجامعة الإسلامية بالمدينة وجامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الملك سعود وغيرها لحضور الاجتماع الذي عقدته جماعة التبليغ في رايوند في شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ. فرأيته تقريراً وافياً شافياً قد وصف المؤتمر المذكور وصفاً دقيقاً شيقاً وأعطى الحقيقة كأن القارئ حاضر في المؤتمر ولقد سرني كثيراً ما ذكرتم مما حصل من الفوائد الكبيرة للجميع وتبادل النصح فيما بين الحاضرين فجزاهم الله خيراً وأكثر من هذه الاجتماعات ونفع بها المسلمين ولا شك أن الناس في حاجة شديدة إلى مثل هذه اللقاءات الطيبة المحتوية على التذكير بالله والدعوة إلى التمسك بالإسلام وتطبيق تعاليمه وتجريد التوحيد من البدع والخرافات، وأسأل الله أن يوفق المسلمين حكاماً ومحكومين للقيام بذلك على أكمل وجه إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

صوره مع التحية ومع صورة من التقرير لفضيلة مدير إدارة الدعوة في الداخل ودول الجزيرة العربية للاطلاع الخارج

مع صورة من التقرير لمكتبنا ملف جماعة التبليغ.
لمكتب البحث ملف جماعة التبليغ

صورة خطاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله إلى الشيخ صالح بن على الشويمان حفظه الله.

من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تعالى
إلى فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين حفظه الله تعالى
برقم ٤١٤/خ المؤرخ: ١١/ ٤/ ١٤٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ سعد ابن عبدالرحمن الحصيّن ووفقه الله لكلمة الحق في الغضب والرضا، وأعاذنا وإياه من شرور النّفس والهوى آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد وصلني كتابك المؤرخ ٣/ ٣/ ١٤٠٨هـ ومشفوعاته، كتابك لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري وفضيلة الشيخ يوسف الملاحي، وما أرفقت بهما، واطلعت عليها كلها.

ولا أكتمك سراً إذا قلت إني لم أرتح لها ولم ينشرح لها صدري، لأن هذه الطريقة التي سلكت لا تفيد الدّعوة شيئا، لأنها تهدم ولا تبني وتفسد ولا تصلح، وضرّها أقرب من نفعها، ولم يعد ضررها إلا على الدْعوة وعلى إخوانك في الله من خيرة المشايخ وطلبة العلم نشأوا على التّوحيد والعقيدة الصّحيحة علمًا وتعليمًا ودعوة وإرشادا وقد إستغلها من لا بصيرة له في مناصبتهم العداء وتكفير بعضهم لهم، وإستباحة بعضهم لدمائهم، والعياذ بالله! مع الوشاية بهم واستعداء المسؤلين عليهم، وتهويل أمرهم عندهم وتخويفهم منهم ورميهم بالعظائم، وإلصاق التّهم بهم مماهم برآء منه، حتى حصل على الدّعوة والدّعاة من الضرر ما الله به عليم، أما من أقمتم الدنيا وأقعدتموها من أجلهم فينطبق عليكم قول الشاعر.

وناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرّها وأوهى قرنه الوعل

لكونهم بمنأى عنكم في بلادهم سائرين في دعوتهم في حماية من دولتهم لإحترامها لهم، لأنك ذكرت في بعض كتابتك لنا أن رئيس الحكومة يحضر إجتماعاتهم ويشجّعهم، كما ذكر لنا هذه الأيام بعض أبنائنا المتخرجين من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ممن شاركهم في الدّعوة سنين طويلة، أن مركزهم في رائيوند مفتوح٢٤ ساعة وجماعات تخرج في سبيل الله، وجماعات ترجع،

فما دام الأمر هكذا فلن تخضعهم كتاباتك وكتابات أمثالك المشتملة على الفظاظة والغلظة والسبّ والشتّم بل أن هذه الكتابات ستكون سببا في نفرتهم من الحق وبعدهم عنه، لقول الله سبحانه لنبيه محمد رسول الله ﷺ الذي أدبّه ربه فأحسن تأديبه:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

وقول النبي ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله» «وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه» «وإن الله يُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنفِ ولا على ما سواه».

والله سبحانه وتعالى نهى عن سبّ الكفار إذا كان يفضي إلى سبّ الله، فكيف بسبّ المسلمين إذا كان يفضي إلى تنفيرهم من الحق وبعدهم عنه وعن الداعين إليه؟

فالواجب أن تسعوا في الإصلاح، لا في الإفساد وأن تخالطوهم وتنبّهوهم على ما قد يقع من بعضهم من الخطأ بالرفق واللين، لا بالعنف والقسوة، أما تشديدك في إنكار البيعة على التوبة فقد إقترحت على قادتهم لما إجتمعت بهم في موسم الحج الماضي بمكة، وحصل بيني وبينهم من التّفاهم ما نرجو فيه الفائدة، أن يكون عهداً بدل بيعة، فقبلوا ذلك ولعلهم تعلّقوا بما قررّه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجزء ٢٨ ص٢١ من الفتاوى من عدم إنكار ذلك. وكذلك تشديدك النكير عليهم في إبقائهم أحد الدعاة في المسجد للدعاء لهم، ولعلّ قصدهم الإقتداء بالنبي ﷺ حين بقى في العريش يوم بدر مع الصديق يناشد ربّه النصر حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فردّه الصدّيق وقال: يا رسول الله ! «كفاك مناشدتك ربّك، فإن الله سينجز لك ما وعدك».

وقد تمنّيت أنك قبلت نصيحتي المتكررة لك، وما أشرت به عليك سابقا ولاحقا في كتبي المرفق بعضها مع بعض صور، مما صدر منك في الموضوع لأني كتبتها عن بصيرة وتأني ونظر في العواقب وموازنة بين جلب المصالح ودفع المضار، وخبرة تامة بهم لتكرر إجتماعي بهم في مكة والمدينة والرياض مع ما إستفدته من ثقات المشائخ الذين سافروا إليهم وحضروا إجتماعاتهم، واطلعوا

عليها من كتب وأعجبوا بها، وكنت نصحتك بما نصحت به محمود إستانبولي لما تهجم عليهم على غير بصيرة كحال أكثر من شن عليهم الغارة في هذا الوقت بدافع الجهل والهوى، نعوذ بالله من ذلك، وقد قلت في رسالتك المذكورة لمحمود:

«وصلتني رسالة منك حول جماعة التبيلغ ويؤسفني أن ينهج أحد الدّعاة إلى الله هذا المنهج المخالف، لشرع الله في سبّ أقرانه في الدّعوة إلى الله وشتمهم وتضليلهم وإتهامهم بتنفيذ مخططات أعداء الله في الكيد للإسلام والمسلمين، كلّ ما في الأمر أن جماعة التّبليغ نهجت في الدعوة إلى الله منهجا، أخطأت (فيما نرى) في بعض جوانب منه، ونرى من الواجب أن ننبههم على هذا الخطأ، كما نرى من الواجب الإعتراف بما في منهجهم من صواب، وليت أخي! يخرج معهم ليتعلّم منهم اللّين بدل القسوة، والدّعاء للمسلمين بدل الدعاء عليهم، والجدل بالتي هي أحسن بدل الجهر بالسوء، وكلنّا محتاج لتفقد نفسه وتصحيح منهجه والرّجوع إلى الله وإلى سنة رسوله في طاعة الله والدعوة إليه». انتهى كتابك بحروفه.

وقد كتبته بعد إختلافك معهم في الرأي ولكن الله أنطقك بالحق فالحمد لله على ذلك. وإليك رسالتك المذكورة مع شكرنا لك عليها برفقه، وربما إغترّ بكتاباتك القاسية ثقة بك، من لم يخالطهم في عمره ولم يخرج معهم ولم يعرف عنهم شيئا إلا من كلامك فيكون عليك وزرك ومثل أوزار من إنخدع بما كتبت إلى يوم القيامة. فاتهم الرأي يا بني! وأعلم أن الله عند لسان كل قائل وقلبه، وأن الله سيحاسب الإنسان عما يلفظ به أو يعمله، وإلجأ إلى ربك واضرع إليه أن لا يجعلك سببا في الصدّ عن سبيله وأذيّة المسلمين،

وأسأل الله عز وجل أن يشرح صدرك لما هو الأحبّ إليه والأنفع لعباده وأن يختم لي ولك بالخاتمة الحسنة أنه جوّاد كريم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم : [illegible]
التاريخ : ١٤٠٨/٤/١١
المرفقات : [illegible]
الموضوع

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين وفقه الله لكلمة الحق في الغضب والرضا، وأعاذنا وإياه من شرور النفس والهوى آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فقد وصلني كتابك المؤرخ ١٤٠٨/٣/٣ وصفوفاته كتابك لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري وفضيلة الشيخ يوسف الملاحي وما أرفقت بهما واطلعت عليها كلها، ولا أكتمك سرا إذا قلت إني لم أرتح لها ولم ينشرح لها صدري لأن هذه الطريقة التي سلكت لا تفيد الدعوة شيئا لأنها تهدم ولا تبني وتفسد ولا تصلح وضررها أقرب من نفعها، ولم يعد ضررها إلا على الدعوة وعلى إخوانك في الله من خيرة المشايخ وطلبة العلم نشأوا على التوحيد والعقيدة الصحيحة علما وتعليما ودعوة وإرشادا، وقد استغلها من لا بصيرة له في مناصبتهم العداء وتكفير بعضهم لهم واستباحة بعضهم لدمائهم والمبالغة بالله مع الوشاية بهم واستعداء المسؤولين عليهم وتجهيل أمرهم عندهم وتخويفهم منهم ورميهم بالعظائم وإلصاق التهم بهم مما هم براء منه حتى حصل على الدعوة والدعاة من الضرر ما الله به عليم .

أما أنتم الدنيا واعتبروها من أجلهم فينطبق عليكم قول الشاعر .

وناطح صخرة يوما ليوهنها ، فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

لكونهم بمنأى عنكم في بلاد هم سائرين في دعوتهم في حماية من دولتهم لاحترامها لهم لأنك ذكرت في بعض كتاباتك لنا أن رئيس الحكومة يحضر اجتماعاتهم ويشجعهم كما ذكر لنا هذه الأيام بعض أبنائنا المتخرجين من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ممن شاركهم في الدعوة سنين طويلة أن مركزهم في رايوندي يفتح ٢٤ ساعة وجماعات تخرج في سبيل الله وجماعات ترجع فماذا أضرهم ذلك؟ فلن تنفعهم كتاباتك وكتابات أمثالك المشتملة على الفظاظة والغلظة والسب والشتم بل إن هذه الكتابات ستكون سببا في نفرتهم من الحق وبعدهم عنه لقول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)) وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)) وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)) ((وأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ولا على ما سواه)) . والله سبحانه وتعالى نهى عن سب الكفار إذا كان يفضي إلى سب الله

صورة خطاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله إلى فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مكتب الرئيس

الرقم : ____________

التاريخ : ____________

المرفقات : ____________

الموضوع ____________

ص - ٢ -

فكيف بسب المسلمين اذا كان يفضي الى تنفيرهم من الحق وبعدهم منه . ومن الداعين اليه
فالواجب أن تنصحوا في الاصلاح لا في الافساد وان تخالطوهم وتنبهوهم على ما قد يقع من بعضهم
من الخطأ بالرفق واللين لا بالعنف والقسوه اما تشددك في انكار البيعه على التبه فقد اقترحت
على قادتهم لما اجتمعت بهم في موسم الحج الماضي بمكه وحصل بيني وبينهم من التفاهم ما نرجو
فيه الفائده ان يكون عهد ابدل بيعه فقبلوا ذلك ولعلهم تعلقوا بما قرره شيخ الاسلام ابن تيميه
رحمه الله في الجزء ٢٨ ص ٢١ من الفتاوى من عدم انكار ذلك ..
وكذلك تشديدك النكير عليهم في ابقائهم احد الدعاة في المسجد للدعاء لهم ولعل قصدهم
الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حين بقي في العريش يوم بدر مع الصديق يناشد ربه
النصر حتى سقط رداؤه عن منكبيه فرده الصديق وقال يا رسول الله بعض مناشدتك ربك
فان الله منجز لك ما وعدك ولا موجب لهذا العمل هذا التشنيع الفظيع هدانا الله واياك وقد تضمنت
الله قبلت نصيحتي المذكوره لعلمه وما صرحت به عليك سابقا ولاحقا في كتبي المرفق بعضها مع بعض
صور مساعد رسائل في الموضوع لأني كتبتها عن بصيرة وتأني ونظر في العواقب وموازنة بين جلب
المصالح ودفع المضار وخبرة تامة بهم لتكرر اجتماعي بهم في مكه والمدينه والرياض مع ما استفدته
من ثقات المشايخ الذين سافروا اليهم وحضروا اجتماعاتهم واطلعوا عليها عن كثب واعجبوا بها .
وكنت نصحتك بما نصحت به محمود استانبولي لما تهجم عليهم على غير بصيره كحال اكثر من تكلم عليهم
الشاره في هذا الوقت بدافع الجهل والهوى نعوذ بالله من ذلك وقد قلت في رسالتك المذكوره لمحمود
" وصلتني رسالة منك حول جماعة التبليغ وهو سفني ان ينهج احد الدعاة الي الله هذا المنهج المخالف
لشرع الله في سباقرانه في الدعوة الى الله وشتمهم وتضليلهم واتهامهم بتنفيذ مخططات اعداء الله
في الكيد للاسلام والمسلمين ، كل ما في الامر ان جماعة التبليغ نهجت في الدعوة الى الله منهجا
اخطأت فيه فيما نرى في بعض جوانب منه ونرى من الواجب ان ننبههم على هذا الخطأ ، كما
نرى من الواجب الاعتراف بما في منهجهم من صواب وليت اخي يخرج معهم ليتعلم منهم اللين بدل
القسوه والدعاء للمسلمين بدل الدعاء عليهم والجدل بالتي هي احسن بدل الجهر بالسوء وكلنا
محتاج لتفقد نفسه وتصحيح منهجه والرجوع الى الله والى سنة رسوله في طاعة الله والدعوة اليه "

صورة خطاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله إلى فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مكتب الرئيس

الرقم :

التاريخ :

المرفقات :

الموضوع

ص - ٣ -

انتهى كتابك بحروفه وقد كتبته بعد اختلافك معهم في الرأى ولكن الله انطقك بالحق فالحمد لله على ذلك . واليك رسالتك المذكوره مع شكرنا لك عليها برفقه ،

وربما افتتن بكتاباتك القاسيه - ثقة بك - من لم يخالطهم في عمره ولم يخرج معهم ولم يعرف عنهم شيئا الا من كلامك فيكون عليك وزرك ومثل اوزار من انخدع بما كتبت الى يوم القيامه .

فاتهم الرأى يابني واعلم ان الله عند لسان كل قائل وقلبه وان الله سيحاسب الانسان عما يلفظ به او يعمله ، والجأ الى ربك واضرع اليه ان لا يجعلك سببا في الصد عن سبيله وأذية المسلمين ،

واسأل الله عز وجل ان يشرح صدرك لما هو الأحب اليه والانفع لعباده ، وان يختم لي ولك بالخاتمه الحسنه انه جواد كريم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس العام

لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد



صورة خطاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله إلى فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين حفظه الله.

فضيلة الإستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل

«الأستاذ بجامعة الأزهر»

قال حفظه الله في مقدمة كتاب «حياة الصحابة رضي الله عنهم» للعلامة المحدث محمد يوسف الكاندهلوي الذي قام بالتعليق عليه ص٩، ١٠:

«عرفت هذه الجماعة باسم جماعة التبليغ والدعوة وهو اسم طابق مسماه فإن هذه الجماعة تقوم بأمرين أساسيين:

الأول: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية وهدايتهم إلى الإسلام بالحجة البالغة والسماحة التي اكتسبوها من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومَرِنوا عليها بكثرة المجاهدة والذكر.

الثاني: دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة أولاً بوصفها عماد الدين ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا ما صلوا خشعت قلوبهم ولانت جلودهم لذكر الله وانكسرت شهواتهم، وضعف ميولهم إلى المعاصي فكفوا عنها بسهولة ويسر، وَسَهُلَ عليهم أن يستجيبوا لله في سائر ما أمر به ونهى عنه، ثم يخرجون بهم في سبيل الله أيامًا ليروا صورة من صور الإيمان الصادق والإخلاص الكامل والحب الغامر والإشراق الساطع من خلال قراءة القرآن والذكر المتواصل بالليل والنهار وليتعلموا كيف يكونوا قومًا صالحين ودعاة مرشدين»انتهى.

ثم قال حفظه الله أيضا في موضع آخر: «لقد عرفتهم عن قرب وخرجت معهم فما رأيت منهم ما يخالف كتابًا ولا سنة بل لقد تعلمت منهم ما لم أكن أجده إلا عندهم.

فهم قوم يكثرون من قراءة القرآن والذكر والمشروع، ويقيمون الصلاة في المساجد ولا تكاد تجد رجلاً منهم يتخلف عن صلاة الجماعة. لا يخوضون في أعراض الناس ولا يتكلمون إلا بخير ويبتعدون كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية حتى تظل قلوبهم مؤتلفة على طاعة الله ورسوله فإن الخوض في الخلاف كثيراً ما يحدث العداوة والبغضاء بين المتحابين، الأمر الذي يمزق وحدة المسلمين ويفرق جمعهم ويذهب ريحهم ويشغلهم بأنفسهم عن نصرة دينهم وتأدية ما أوجبه الله عليهم، وهم أغنياء بالله فقراء إليه لا يسألون الناس شيئًا ولا يتخذون على دعوتهم إلى الله أجراً ولا

ولا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر والحضر، فلا تكاد تجد واحدًا منهم يعيش عالة على غيره.

ليس لهم أمير دائم فكلهم أمراء إذا خرجوا في سبيل الله أمروا عليهم واحدًا منهم، بعضهم خدمٌ لبعض، لا يحب واحد منهم أن يتميز عليهم في شيء فترى أكبرهم سنًا وأكثرهم علمًا وأوفرهم مالاً وأعلاهم منصبًا يطهو الطعام ويعده لإخوانه في تواضع جم وسماحة نفس، وسلامة طبع وحسن خلق.

وقد رأيتهم يحبون العلماء ويجلّونهم الإجلال كله، ومن آدابهم في توفير العلماء خفض الصوت في مجالسهم، وحسن الإنصات إليهم والتفاني في خدمتهم، والتغاضي عن هفواتهم وزلاتهم، وطلب الدعاء منهم، وما رأيت قومًا أطوع إلى العلماء العاملين منهم»انتهى.

فضيلة الشيخ الأستاذ أبو الأعلى المودودي

قال الأستاذ أبو الأعلي المودودي: «إنني أقدر ما قامت به جماعة التبليغ من خدمات جليلة، وأن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي الذي تولى رئاسة الحركة بعد وفاة والده ـ محمد إلياس[1] ـ هو خير خلف لخير سلف، فهو الذي قام بأداء الواجب نحو الدعوة إلى الله بمعنى الكلمة. فبينما كانت هذه الحركة، على المستوى المحلي، في شبه قارة جنوب آسيا جعلها الشيخ محمد يوسف حركة عالمية انتشرت أعمالها في جميع بلدان العالم».

---

(١) فضيلة العلامة الشيخ محمد إلياس مؤسس أول مراكز الدعوة والتبليغ بالهند، ينتهي نسب أسرته إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه،، وهو الذي أحيا الله به هذا الجهد المبارك في شبه القارة الهندية ثم في العالم أجمع وكان من خيرة العلماء الاجلاء، كان يقوم بتدريس النحو والصرف والأدب والبلاغة والفقه والتفسير مع الصحاح الستة، وشرح معاني الآثار، ومستدرك الحاكم في فترة واحدة. وقالوا عنه رحمه الله: إنه كان مستعدا للتدريس طوال الوقت بلا انقطاع، حيث كان يعلم كل يوم ثلاثا وثلاثين حصة من الدروس، بعضها قبل صلاة الفجر مثل حفظ القرآن، ومستدرك الحاكم، والباقي يستمر تدريسه بعد الصلاة طوال النهار.انتهى.

وقد خلفه في رئاسة عمل الدعوة ابنه العلامة المحدث محمد يوسف الكاندهلوي: قرأ الصحاح الستة ومستدرك الحاكم، وشرح معاني الآثار للطحاوي على يد والده الشيخ محمد إلياس، وقد أمره والده وأستاذه أن يقوم بتأليف شرح لكتاب «شرح معاني الآثار» باللغة العربية، فبدأ تأليفه وأسماه «أماني الأحبار» وأنجزه في ثلاثة مجلدات كبار، وقرأ مشكاة المصابيح على يد والده الشيخ وكان ذلك نواة لتأليف كتابه العظيم «حياة الصحابة» في ثلاثة مجلدات.

فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري

قال حفظه الله في رسالته «القول البليغ في جماعة التبليغ» في البند السادس ٦ـ : وقالوا إن المبلغين ينكرون الجهاد، ويزعمون أن المسلمين اليوم حالهم كحال الرسول ﷺ وأصحابه في مكة قبل الهجرة.

ونقول: هل في هذا القول عيب أو قبح أو إثم حتى تُعَيَّر به جماعة التبليغ أو تُسَبَّ به؟

إنه قول كل ذي علم وعقل وبصيرة بأحوال المسلمين وما يجري في ديارهم، وما يكتنف حياتهم، فالذين يتبجحون بالدعوة إلى الجهاد ويؤذون القاعدين عن ذلك فليخبرونا كم غزاة غزوها كم من بلد من البلاد حرروه وأقاموا فيه شرع الله حتى يصح أن يُقال إن جماعة التبليغ قاعدون عن الجهاد ومثبطون عنه. وكل ما في الأمر أن المبلغين ما شجعوا على الجهاد في بلاد الأفغان لانشغالهم بالدعوة، هذا وإن حدث أن نفراً أو أنفاراً زهدوا في الجهاد الأفغاني، ورأوا أن الدعوة إلى إصلاح القلوب وتهذيب الأخلاق مقدمة على الجهاد فليس بهذا عيب توصم به جماعة التبليغ في الشرق والغرب.

٧ـ وقالوا إن جماعة التبليغ لا ينهون عن المنكر، ولا يأمرون بالمعروف على الوجه الصحيح...

ونقول: إن منهج الجماعة وقد سبق بيانه ليس من مبادئه الإنكار على ذوي المنكر، وذلك لأمرين:

الأول: إن الإنكار في مجتمعات غلب عليها الجهل وسادها الفسق لا يجدي نفعًا وهذا واقع لا ينكره ذو بصيرة بأحوال الناس.

الثاني: أنهم قد استعاضوا عن الإنكار بالقول تهجير فاعل المنكر بالخروج به بعيداً عن بيئته ووضعه بين يدين مربين حكماء يعالجونه بالحال وطيب المقال فلا يلبث حتى يترك المنكر وينكره، فهذا أجدى من كلمات يقولها المرء على منبر أو في حلقة درس والناس عنها غافلون.

فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى الملاحي

قال حفظه الله في رسالته «إصلاح وإنصاف لا هَدْم ولا اعتسَافْ» ص٧٤:

إن من عاشر هؤلاء الدّعاة وسبر أحوالهم وتعرف على منهج دعوتهم شريطة أن يكون متجردًا من الأهواء ومن المؤثرات الخارجية وقصد بذلك طلب الحق، يرى العجب العجاب، يرى كيف يقوي إيمانه وكيف يستجيب الناس لهم بسرعة، فلا يخالجه أدنى شك أن الله تعالى آتاهم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

ومن الأسباب المهمة الجالبة للحكمة التخلى عن جميع المشاغل والتوجه بالخروج بكليته طلبًا لمرضاة الله تعالى والدّار الآخرة وتفرغًا لإصلاح النفس وعامة الناس مدة من الزمن تكثر أو تقلّ حسب الاستطاعة، مع بذل الوسع من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بطلب الهداية له ولغيره.

ولا يعنى ذلك أن الخارج في سبيل الدعوة إلى الله تعالى يضيع أهله ويهمل أولاده، أو يخالف والديه، أو يترك وظيفته أو أسباب معيشته، بل يرتب حاله وينظم أموره كما يفعل المنتدب لأعمال وظيفته، والمسافر لأعمال تجارته أو للمعالجة.

إلا أن من يجهل حقيقة هذه الدعوة (وما أكثرهم) حتى بعض المتدينين الحريصين على هداية الناس قد يستغرب ذلك وقد يعتبره بدعة في الدين، أو إهمالاً وتضييعًا للمسئولية، والواقع أنه ليس تضييعًا ولا بدعة وإنما هو من المصالح اللازمة لإصلاح نفسه وإصلاح المسلمين ولكن العيب الوحيد في هذا الخروج هو أنه ثقيل جدًا على النفس لأنه يعرض نفسه لتحمّل المشقّات وهجر الراحة والملذات ومفارقة الأهل والمألوفات ويكلفه تضحية بالمال والفكر والجهد والأوقات.

والغاية من ذلك أن يجاهد الخارج نفسه وشيطانه ودنياه حتى يكون أمر الدين والآخرة أهم عنده من كل حظوظه النفسية ويكون مرضاة الله مقدمة على النفس

فما دون وقد خرج النـبي ﷺ إلى الطائف لدعوة أهلها وأصابه من المشقة مـا أصابه وهكذا أرسل القراء السبعين إلى بعض قـبائل العرب لتعليمهم وتفقيـههم في الدّين، فغدروا بهم وقتلوهم والأصل في هذا قوله تعالى:

﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قول سلطان العلماء العز بن عبدالسلام تعليم ما يجب تعليمه وتفهيم ما يجب تفهيمه يختلف باختلاف رتبه وهذا قسمان:	١٧
قول سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: وأسباب الجهاد كلها وسائل إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى مقاصده فالاستعداد له من باب وسائل الوسائل	١٨
قول سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: الواجبات والمندوبات ضربان: إحداهما مقاصد والثاني وسائل وكذلك المكروهات والمحرمات: إحداهما مقاصد والثاني وسائل وللوسائل أحكام المقاصد	١٨
مراحل الجهاد الدعوي للصحابة رضي الله عنهم	٢٢
المرحلة الإجمالية ـ المرحلة التفصيلية (الجزية) ـ القتال	٢٣
الدعوة هي منظفة للشرك والكفرمع تعذرها يلجأ إلى القتال	٢٤
لا يصلح أن نسير إلى ثالث الخيارات وهو القتال مع الترك للخيار الأول	٢٤
كيف نقاتل الناس مع تعذر وجود ما ندعو إليه من صفات الإيمان؟!	٢٥
كلام الإمام حافظ المغرب ابن عبدالبر في التمهيد في اختلاف العلماء في دعاء العدو قبل القتال إذا كانوا قد بلغتهم الدعوة	٢٥
كلام الإمام ابن عبدالبر عن الحسن بن صالح: يعجبني كل ما حدث إمام بعد إمام أحدث دعوة لأهل الشرك	٢٥
قول الإمام ابن عبدالبر والدعاء قبل القتال على كل حال حسن	٢٥
قول الإمام أبو الوليد في بداية المجتهد:	٢٧
فأما شرط الحرب فهو بلوغ الدعوة باتفاق	٢٧
هل يجب تكرار الدعوة عند تكرار الحرب؟	٢٨
أختلاف الأئمة في ذلك	٢٨

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

عنوان المراسلة : ١٣ ش بركات

طومان باي – الزيتون – القاهرة

يُطلب من المكتبات بجوار مركز الدعوة بالجيزة

ت : ٠١٠٦٥٣٣٢٧٦٨

﴿من هم أهل الدعوة﴾

كلمات مضيئة

فضيلة الإستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل

«الأستاذ بجامعة الأزهر»

«لقد عرفتهم عن قرب وخرجت معهم فما رأيت منهم ما يخالف كتابًا ولا سنة بل لقد تعلمت منهم ما لم أكن أجده إلا عندهم. فهم قوم يكثرون من قراءة القرآن والذكر المشروع، ويقيمون الصلاة في المساجد ولا تكاد تجد رجلاً منهم يتخلف عن صلاة الجماعة. لا يخوضون في أعراض الناس ولا يتكلمون إلا بخير ويبتعدون كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية حتى تظل قلوبهم مؤتلفة على طاعة الله ورسوله فإن الخوض في الخلاف كثيرًا ما يحدث العداوة والبغضاء بين المتحابين، الأمر الذي يمزق وحدة المسلمين ويفرق جمعهم ويذهب ريحهم ويشغلهم بأنفسهم عن نصرة دينهم وتأدية ما أوجبه الله عليهم، وهم أغنياء بالله فقراء إليه لا يسألون الناس شيئًا ولا يتخذون على دعوتهم إلى الله أجرًا»

انظر ملحق الفتاوى بآخر الكتاب.